الفصل الثالث
العلاقات الدولية في طريق التعليم والبحث والروابط النظرية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

العلاقات الدولية في طريق التعليم والبحث والروابط النظرية

المبحث الاول

لئن كان هذا العرض الذي نقدمه، ليس أول ولا آخر عمل نقوم به الي جانب المحاضرات، إلا أن ما يميزه هو أنه يعطي صورة شاملة واضحة لطريقة عرض بعض الأدبيات و الأفكار والآراء، التي يمكن أن توصف بأنها تنم عن خيال واسع ، ونظرة كلياتية تحاول التنقيب عن الترابط الموجود بين العلوم والمواضيع، ذات الصلة بالتخصص في العلاقات الدولية، وذلك لتفاعل الترابط بين الوقائع والأحداث والمواضيع والمشاكل والإشكاليات المطروحة حاليا.

وكيفما يكون ذلك التفاعل ،فما هي العلاقات الدولية، اذن ؟ من المعروف أن هناك تسميات عديدة لهذا المجال من المعرفة الموطدة، واتضح أن هناك خلط وغلط بين المصطلح والمضمون.من هذه المصطلحات، نجد العلاقات الدولية ،و السياسات الدولية، والشؤون العالمية، والشؤون الخارجية، والدراسات الدولية...الخ ،وبالرغم من وجود كثير من التداخل في معني كل مصطلح من هذه المصطلحات، إلا أنه يمكن التمييز بينها ،لأنها تهتم بأطر مختلفة في مجال دراسة وواقع العلاقات الدولية.ويمكننا فك خيوط هذا التداخل علي النحو التالي:

❖العلاقات الدولية:INTERNATIONAL RELATION هي فرع من الفروع العلمية، الذي يهتم بتناول العلاقات التي تحدث بين دولتين أو أكثر ،سواء من حيث تطورها أو من حيث العوامل المؤثرة فيها.

❖السياسات الدولية:INTERNATIONAL POLITICS هي السياسات التي تنتهج الدولة إحداها في شؤونها الخارجية، وفي تفاعلها مع غيرها من الفاعلين الدوليين.علي سبيل المثال لا الحصر ،يمكن أن نذكر سياسة عدم الانحياز، سياسة الأحلاف العسكرية أو سياسة القوة أو سياسة الهيمنة.

❖الدراسات الدولية :INTERNATIONAL STUDIE هذا التعبير ،يتعلق بالحياة الدراسية ،أو ما يطلق عليها في كثير من الأحيان النواحي الأكاديمية ،لأنها تتمثل بالجانب الدراسي أكثر من غيره.

❖الشؤون الخارجية FOREIGN AFFAIRS ، و الشؤون العالمية WORLD AFFAIRS: أما هذه فانه يختلف المقصود منها ،مع اختلاف النظرة إليها ، الشؤون الخارجية لها معني شؤون الدولة الخارجية ،أي ما يقابل شؤونها الداخلية ،أما الشؤون العالمية فمدلولها يشبه إلى حد ما مدلول العلاقات الدولية ،مع اختلاف أنها تشمل كل أمر خارجي ،وهو ما يخرجها من نطاق شؤون الدولة الداخلية.لأن معني الشؤون الخارجية أوسع بكثير مما يعنيه مدلول العلاقات بين الدول ،لتضمنها كل القضايا والمسائل الخارجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها...

وبالنتيجة يمكن أن نقول :أن كل شئ يؤثر في العلاقات بين الدول أو أي شئ يتأثر بها ،يمكن إدراجه ضمن موضوع العلاقات السياسية الدولية .لماذا؟الإجابة ببساطة هي ، لوثاقة الصلة بين العلاقات الدولية والسياسة الخارجية .حيث أن الأولي هي نتيجة للثانية.والسياسات الخارجية هي التي تنتهجها الدولة تجاه الدول الأخرى –لذلك كله توصف بصفة العلاقات الدولية.

غير أنه لا يوجد في أدبيات العلاقات الدولية أي تعريف موحد للعلاقات الدولية ،وباختصار شديد ومكثف يمكننا القول أن العلاقات الدولية ، تعبير يستعمل لتغطية كل التفاعلات بين الفاعلين الدوليين عبر حدود الدولة .و الموضوع بطبيعته متخلل الدراسات، يشمل ويطوق بمدلوله السياسة الدولية ،والتاريخ ،والدراسات العسكرية والاستراتيجية ،والعلاقات الاقتصادية ،المتخطية الحدود القومية ، والقانون الدولي.أما مقياس العلاقات الدولية فهو داسة منهجية ،منظمة ،لتفاعلات الدول وغيرها من الفاعلين

الدوليين، والأدوات والوسائل التي تستعملها في علاقاتها مع بعضها البعض، وفي تأثيرها علي المجتمع الدولي...

وجدت العلاقات الدولية منذ القدم، عندما وجدت التجمعات الانسانية علي وجه البسيطة، وقامت بين العشائر والقبائل وشائج وروابط الجوار .وما نلاحظه ان العلاقات الدبلوماسية بالمفهوم الحديث المتداول في أساط المفكرين الآن، لم تعرف الا مع قيام الدولة –الأمة مؤخرا ، والمفهيم التي ارتبطت بها مثل مفهوم السيادة ،والسلطات ،وحقوق وواجبات المواطن، وما شابه ذلك.ومما يلاحظ كذلك، أن العلاقات الدولية قديمة قدم الدولة ذاتها.لكن، تناول دراستها بصفة مستقلة، نشأت في التاريخ المعاصر، بعد الحرب العالمية الأولي بالتحديد...

وما ميز تطور العلاقات الدولية ،أنه أثناء القرون الحديثة تم التركيز علي علاقات القوي العظمي ،وميزان القوة ،وفن الدبلوماسية.أما فيمابين **1945**و**1991**، أي أثناء ما أصبح يدعي بمرحلة الحرب الباردة، نجد أنه قد هيمن علي العلاقات الدولية موضوعات الصراع الإيديولوجي، والسياسي ،والعسكري العالمي ، بين الشيوعية ورأسمالية الاقتصاد الحر- الليبرالية الديمقراطية. ومنذ عهد قريب تلي خاصة، انهيار الإمبراطورية السوفيتية، تحول التركيز باتجاه الاعتمادات الدولية المتبادلة، التي استحثت ظاهرة العولمة، حينما أصبحت القوي السياسية والاقتصادية أكثر تطورا، أتخذ انتباه واهتمام العالم المتطور، وجهة جديدة باتجاه تنظيم شؤون الأمن الوطني الممركز - نسبيا، وباتجاه الصراعات العرقية الاثنية الواقعة ضمن دائرة المحيط الخارجي .

والعلاقات الدولية في هذا السياق، هي ذلك المجال من النشاط الإنساني، حيث يصطدم الاعتماد المتبادل بين الدول بالرقابة غير الكاملة، وحيث لا نستطيع التملص من أو إهمال القضايا العالمية، أو نطبعها بطابع إرادتنا . ولما أصبح تطبيق العلاقات الدولية صعبا ودقيقا ،فإن دراسة

هذا المجال تحولت الي مجال للدراسة لكي تحافظ علي خطوات هذا التطور .إن التطور الملحوظ أثناء العقود الزمنية الماضية ،يحتوى علي تغير واضح في المفاهيم والنظريات، تغيرات نبهنا إليها، التقاء العلوم السلوكية الجديدة في علم النفس، و علم الاجتماع، والانثروبولوجيا ،مع العلوم الموطدة سابقا، كعلم السياسة، والتاريخ ،و الاقتصاد.هذه التغيرات في النظرية صاحبتها كذلك تطورات جديدة في مناهج البحث، وتسخير الإجراءات الإحصائية للتحليل ، ونمو إمكانية التجارب (الإختبارية) للمعلومات والحقائق والبيانات. كل ذلك كان من أجل ايجاد حلول لمشاكل الانسان.

ونأمل أن نقدم هذا العرض بالاستناد الي ثلاث مرتكزات أساسية هي: -

أولا :العلاقات الدولية،

وثانيا :إدارة وتنظيم العلاقات الاقتصادية الدولية،

وثالثا: العلاقات الدولية والدراسات المستقبلية.

ومن خلال هذا التشعب نستطيع أن نوضح تداخل العلوم والتطورات التكنولوجية مع السياسة،والعلاقات الدولية،والعلاقات الاقتصادية الدولية، ونؤكد ارتباطها الوثيق،لأن كل سبل ونواحي الحياة تتعلق بالسياسة بطريقة أو بأخرى – من قريب أو من بعيد؛ولذا أصبحت السياسة تحوي وتحيط بالإنسان من كل النواحي،وصارت متعددة الأبعاد ،لذا نجد انه يفترض أن هدف السياسة الأسمى يتعين أن يكون هو تطور وترقية الإنسان ورفاهيته وسعادته،وبالنتيجة يجب اتباع كل السبل المؤدية أو الموصلة الي انجاز هذا الهدف.وهذا العمل هو مسؤولية العلم والعلماء والعلاقة الوثيقة بالسياسة،خاصة من ناحية تهديد العالم بالجوع والمرض ،والرعب والفناء من جراء استعمال واستخدام المخترعات التكنولوجية الحديثة كالقوة النووية...إلخ ومن ناحية آثار العلم كالطب مثلا علي حياة الإنسان وتكوينه الطبيعي.

إن فرضية السياسة [متعددة الأبعاد]؛بما أنها يجب أن تشمل المحيط الكامل الذي يعيش فيه الإنسان ؛أي المعمورة كلها ، فإنها يتعين أن تكون كوكبية (كونية) تهدف الي إيجاد نسق علاقات دولية (سياسية، إقتصادية، اجتماعية وثقافية) جديدة .

و من خلال الفصول القادمة سنحاول أن نقدم لطالب العلاقات الدولية خاصة، هذه البحوث والتحليلات ، التي جعلت من دراسة العلاقات الدولية ،حقلا للدراسة أكثر مهنية واحترافية.وفي جزء آخر من هذا البحث تجدنا نهتم أكثر بالشق الاقتصادي للعلاقات الدولية، حيث اقترن الآن في فكر العامة والخاصة- علي حد سواء –ارتباط وتشابك الاقتصاد بالسياسة، حتى أنه قيل أن [السياسة] هي تصرفات مركزة للمصالح الاقتصادية.فالتحولات اليوم تحكمها توجهات التكتل ،وقوة الإعلام، والشركات المتعددة الجنسيات العابرة للقارات أو المخترقة للحدود الوطنية.التي تعتمد علي أحدث طرق وأساليب التسويق والتطوير ،وتنذر باكتساح أسواق العالم المتقدم والمتخلف خاصة بعد اتفاقيات تحرير التجارة الدولية.

كل أمم العالم اليوم، تعيش حياة الانفتاح الاقتصادي العالمي وتبعات العولمة ،وتقوم علي تحديث أساليب ومفاهيم العمل والإنتاج .هذا مما جعل 20٪من دول العالم تمتلك 85٪ من الناتج الإجمالي الدولي.ومما جعل كثيرا من الأمم تلهث ساعية ،من أجل تبؤ موقع لها ضمن النسق الدولي، مع مطلع القرن الحادي والعشرين .لأن العالم اليوم، يعيش ويحس ويدرك، إنعكاسات ظاهرة العولمة [''التقارب العالمي للقرية الكونية '']بفعل شبكة نسيج عنكبوتية للاتصالات .هي شبكة الإنترنت ،التي تختزن وتخترق معلومات العالم السياسية ،والاقتصادية ،والعلمية والثقافية ،وكل شئ يمت بصلة، إلي الحضارة الانسانية ،مدعمة بالأقمار الصناعية (الاصطناعية) .ووسائل الإعلام

المتطورة ،وآفاق التوحيد التلفزيوني، في تغطية ونقل كل المعلومات ، ضمن عالم يمتاز بأنه يتناحر فعلا اقتصاديا وإعلاميا **وثقافيا وحضاريا.**

وننطلق من هنا ،بأن العلاقات الدولية عموما في عصر العولمة يمكنها أن تؤجج **صراعا حضاريا** عارما ينطلق من الثقافة ويصل إلي الاقتصاد والسياسة.وبالرغم مما كتب عن العولمة فانها تبقي عبارة عن [ظاهرة موضوعية عامة]. **مفهومها غير محدد بدقة** لأنه لا يحتمل التوصيف الدقيق،لأن العولمة نتاج تشابك وتداخل سياسي، اقتصادي ،ثقافي ، حضاري وتقنيائي يتعلق بطبيعة المرحلة التي يمر بها العالم [اليوم].وانطلاقا من هذا التصور المبسط عن العولمة، نجد أنه يتعين علينا الآن كطلاب في العلاقات الدولية، أن نعرج علي التعريف بمستجدات هذه المرحلة ،وارتباطاتها بالتطورات الاقتصادية والعلمية والمعلوماتية وانعكاساتها الحضارية علينا...علي عتبة تاريخية هامة يمر بها العالم ،هي عتبة القرن الحادي والعشرين (الألفية الثالثة) . باختصار شديد يمكننا التساؤل عما هو مصير العلاقات الدولية في خضم تفاعلات وتداعيات العولمة المتسارعة،تزامنا مع تراجع موقع نسق الدولة- الأمة؟! إذا كان الكلام عن زوال أو انطفاء هذه الأخيرة كلاما ''ساذجا ''فما الذي تعنيه العولمة في حد ذاتها؟هل يفهم من هذه العولمة أنها مجرد نوع من الضغط علي الحكومات الوطنية في الشمال وفي الجنوب؟ إذا كان الأمر كذلك،أليس من حق المرء أن يتصور بأن العولمة ما هي إلا مرحلة عليا من المراحل التي تمر بها الرأسمالية و الإمبريالية؟❖ أعني أليست هي أعلي مرحلة من مراحل الأمبريالية؟

العلاقات الدولية في طريق التعليم والبحث مداخل العلاقات الدولية

تمهيد

إن أكثرية علماء السياسة، وكذلك طلبة العلاقات الدولية يدركون تمام الإدراك أن مجال دراستهم يتكون من مواضيع واسعة ومعقدة غاية في التعقيد.ويعون كل الوعي أنه علي الرغم من كثرة الحلول للأمراض أو المشاكل العالمية التي يقدمها الباحثون ، إلا أنه من الصعوبة بمكان إيجاد حل للصراعات والحروب الدولية ، مثلهامثل تلك الأمراض التي لم يكن في استطاعة الأطباء إيجاد علاج لها مثل السرطان و السيدا. إن فهم العمليات البيولوجية لنسق الكائن الحي البشري أو العمليات السياسية للنسق الدولي– لمراقبتها من أجل أهداف عقلية أو بيولوجية أو خلقية –تتحد في العمق، عمق العقل البشري . علي الرغم من ذلك ، فإنه من خلال فهم عميق يمكن لنظرية للفعل (أو النشاط) الهادف أن تظهر إلي الوجود . وبإلقاء نظرة علي النظريات التي ظهرت وتطورت في مجال العلاقات الدولية- أي قارئ سواء كان طالبا أو صانع سياسة ،أو صحفي، أو ملاحظ عرض للأحداث أو الشؤون الخارجية- يمكن له أن يحسن فهمه للعلاقات الدولية كحقل نظامي للدراسة ،وكذلك للنظريات البارزة الأهمية التي ظهرت في هذا المجال من النشاط الإنساني [1].

المبحث الأول
المداخل الأولي المبكرة للعلاقات الدولية

إن مجهودات تنظيم وتحليل العلاقات الدولية بين الدول تعتبر إلي حد بعيد محاولات قديمة، بعضها وجد في الواقع أثناء العصور القديمة في الهند، الصين، واليونان . وعلي الرغم من وجود أفكار أفلاطون و أرسطو حول الموضوع إلا أنها كانت في صورة مخطوطات فقط ،الا أن مؤلف مؤرخ اليونان القديمة [THUCYDIDES] الذي عنونة ''تاريخ الحرب البولوبونيزية'' [PELOPONNESIAN] يمكن أن يوصف بأ نه بحث كلاسيكي مفيد في هذا المجال، أي طالب للعلاقات الدولية يمكنه أن يستفيد من تصفح مشتملاته وقراءته .كتاب الأمير للإيطالي نيقولا مكيافيلي هو الآخر كان عبارة عن نصوص واضحة تمام الوضوح في تحليلها للقوة والسلطة ونظام الدول، ويؤكد نيقولا مكيافيلي كذلك علي ما يسمي ب [FREE - VALUE] في المجال السياسي الدولي والتحكيم [2]. كتاب دانتي [DANTE] الذي عنونه [DEMONARCHIA] .أصبح كذلك ، يحتل المكانة الأولي ضمن أدبيات السياسة الغربية التي تدعوا إلي احداث منظمة دولية، يتعين عليها، أن يكون في استطاعتها إحلال و فرض السلام [3]. وغير ذلك من الكتاب الذين عايشوا الأحداث الدولية في أواخر القرن الرابع عشر حتى مستهل القرن الثامن عشر من أمثال جان جاك روسو، وبنطام، وكانت...الخ [4]. وعلي الرغم من هذه الكتابات الكلاسيكية ،إلا أنه لم يوجد هناك أي تطور منتظم، في مجال العلاقات الدولية، علي غرار ذلك التطور الذي ظهر في حقل دراسة العلوم السياسية والسياسة الداخلية للدولة (أو الدول) قبل الحرب العالمية الأولي . لاحظ [MATINWRIGHT] أنه إذا كنا نعني ''بالنظرية الدولية'' تقليد أو تأمل مضاربة حول العلاقات الدولية – بين الدول، فإن هذا التقليد يمكن تخيله أو تصوره كتوئم للمضاربة حول الدولة، التي استحوذت علي النظرية السياسية التي لم توجد[5]. واقترح

(رايتWRIGHT) أن هناك سبب لهذه الحالة، إنه منذ[1583_1645 GROTINS]، فإن الألمان الحقوقيون، رجال الدولة والمؤرخين، كان تضاربهم تقريبا فيما يختص بالجماعة الدولية، وذلك من خلال العناوين العريضة للقانون الدولي . ويؤكد (رايتWRIGHT) أن معظم الكتابات المختصة في العلاقات الدولية_بين الدول، قبل القرن العشرين20 كانت ضمن الآدبيات السياسية لبعض الكتاب الذين كانوا مهتمين بالتطرق لموضوع السلام الا أنها دفنت فيما بين سطور أعمال المؤرخين، وعلقت بكتابات الفلاسفة، وخطابات، ومذكرات رجال الدول والدبلوماسيين .

أما مرحلة تاريخ أوربا من سنة 1648إلي سنة1914 فانها اعتبرت هي العصر الذهبي للدبلوماسية، وميزان القوة، والقانون الدولي. كل الفكر السياسي تقريبا، ركز علي سيادة الدولة –الأمة ،أو حول الوظائف والأشياء التي تحد من حرية السلطات الحكومية، مثل حقوق الأفراد داخل الدولة، متطلبات حفظ الأمن، لوازم وضروريات تقرير المصير والاستقلال الخ.. وكيفما كان ذلك، فانه قد وجدت بعض الفروع لفكر اشتراكي، شكلت استثناء كبيرا، وعلي الرغم من أن الاشتراكيين قد أكدوا علي فكرة العالمية، إلا أنه لم يكن في مقدورهم إنتاج نظرية متماسكة (أو متلاحمة) في العلاقات الدولية .لكنهم قد دفعوا إلي الأمام'' بنظرية الإمبريالية''التي استعاروها بشكل كبير من [جون هو بسن 1858_1940 JOHN HOBSON]، الاقتصادي البريطاني . لهذا السبب، فهي نظرية اشتقاقية (استنتاجية) من النظرية اقتصادية للدولة (أو الدول) الرأسمالية [6]. وللأسف، فإنه حتى سنة 1914 نجد أن معظم المنظرين الدوليين كانوا متماثلين في تصوراتهم وافتراضاتهم في أن بناء المجتمع الدولي كان بناء غير متحول ،وأن انقسامه وتفككه إلي عدة دول ذات سيادة كان ضروريا وطبيعيا .لذلك فإن دراسة العلاقات الدولية في معظمها(أو كلية) قد تألفت من التاريخ الديبلوماسي، والقانون الدولي، والنظرية السياسية .

المبحث الثاني
المداخل الحديثة للعلاقات الدولية

بعض المجهودات الجادة في دراسة العلاقات الدولية قد ظهرت حديثا في الولايات المتحدة وذلك حينما بدأت تبرز كقوة عالمية يحسب لها حسابها . لكن الغموض الذي اعتري سياستها الخارجية ،ونزوع ساستها نحو العزلة في العشرينات و الثلاثيات، قد كبل إلي حد ما، تطور العلاقات الدولية كحقل للدراسات، وكبح طموح و جماح الذين يريدون دراستها .

غير أن هذا الأمر لم يمنع ظهور نزعتين سياسيتين بين أوساط المثقفين الأمريكيين، إحداهما أيدت أفكار [WILSON ودرو ويلسن] فيما يختص بعصبة الأمم ،و الأخرى ضمت بعض السياسيين الذين أحسوا بالضغوطات التي كانت تدعوهم وتدفعهم لاتباع سياسة خارجية عادية .كل هذا أعاق اشتراك الولايات المتحدة في عصبة الأمم - المنظمة الدولية آنذاك. وعلي الرغم من ذلك، فإن بعض الكتاب الأمريكيين قد طالبوا بنظام دولي أخلاقي وسلمي، لكنهم كانوا غير مستعدين لتحمل عبء التكاليف .

هذا الانقسام في أوساط المثقفين و السياسيين الأمريكيين _من ذوى الدوافع النبيلة وأولئك الذين نزعوا تجاه اتباع سياسة العزلة ،انعكست آثاره علي معاهدة [KELLONGY-BRIAND] سنة 1928 ،المعاهدة التي حرمت الحرب استنادا إلي بعض التصريحات الأخلاقية ،لكنها لم تدعم ذلك بالوسائل الكافية للقدرة علي التنفيذ . لذلك فإن المثقفين المدربين قد اعتبروا أن مهمتهم تتمثل في المحافظة علي الأجيال الناشئة من إعادة ارتكاب أخطاء أسلافهم [7].

لعقدين من الزمن أو أكثر، بعد معاهدة (VERSAILLES) نجد أن المدخلين الذين كانا أكثر شيوعا لتعليم الشؤون العالمية في الجامعات الأمريكية هما برامج دراسية لدراسة الأحداث المعاصرة ،وبرامج لدراسة القانون الدولي والمنظمات الدولية .الأولي ،وضعت لرفع مستوى إدراك وفهم

الأحداث الآنية آنذاك ،دون استعمال مناهج علم الاجتماع للاستفادة أكثر، في حين أن طرق دراسة القانون الدولي قد أكدت علي الإجراءات القانونية الشكلية التي تلزم الدول(خاصة أعضاء عصبة الأمم)وتصرفاتها الدولية أثناء فترة زمنية تميزت بالصراع بين القوى التواقة للمحافظة علي الأمر الواقع (STATUS-QUO) وتلك القوى التي كانت تعمل جاهدة لقلب هذا الوضع[8].

إن إدراك وفهم فكرةأن دراسة العلاقات الدولية يجب أن تغوص في أغوار الواقع وراء دراسة القانون الدولي والمنظمات الدولية، يمكن ملاحظته من خلال فحص كتابات بعض علماء السياسة والعلاقات الدولية في إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية أثناء ثلاثينات (1930s) القرن الماضي، غير أن بعض المفكرين من أمثال [BRIERLY] و[EAGLETON]و[POTTER] و[OPPENHEIM] قد أصروا علي اعتبار أن''النظرية الدولية'' تعتمد علي القانون الدولي والمنظمات الدولية، لأنهم كانوا يرسمون تصوراتهم بالاعتماد علي بعض مواد القضايا القانونية وتجارب الإدارة الدولية، في حين كان آخرون يؤكدون علي قضايا أكثر فعالية من القانون الدولي، وتمتاز بأنها تساعد علي تقديم شروحات مقنعة للقوى، وحول الأحداث الدولية.

بعد الحرب العالمية الأولي، نجد أن الباحثين والمؤرخين الدبلوماسيين_ من كلا جبهتي الأطلسي- قد بحثوا في أسباب أو أصول الخلاف الدولي الكبير (الحرب العالمية الأولي).[HAYES] و[KOHN] وغيرهم من المؤرخين الذين حاولوا اكتشاف فحوي وتأثير العواطف الأيديولوجية للقومية والوطنية، التي اعتبرها كثير من الكتاب بأنها أعظم قوة محتملة التوقع في العالم الحديث علي الرغم من تقدم الأيديولوجيات العالمية[9].ثم بعد ذلك ،ظهرت عدة كتابات متخصصة حول عدة مواضيع مثل: مشكلة الأمن، الحرب، نزع السلاح، الأمبريالية، الدبلوماسية، التفاوض، ميزان القوي، المظاهر الجغرافية للقوة علي المستوي الدولي، عوامل

الحرب والأهمية الأستراتيجية للمواد الأ ولية، بالاضافة الي دور الاقتصاد في العلاقات الدولية [10].

وأثناء الفترة فيما بين الحربين العالميتين، ظهرت عدة مؤلفات او كتب نصوصية حول العلاقات الدولية كانت تتناول وصف نظام الدول[STATES-SYSTEM] كما أطلق عليه آنذاك؛حاولت هذه المؤلفات أن تقدم بعض المعارف التي تتعلق بالسياسة والتاريخ والاقتصاد، والجغرافيا، الجيوبوليتيك والعوامل الأستراتيجية. ويمكن القول أنها قدمت بعض المجهود لمحاولة فهم حالي (واقعي) لتطور السياسات الخارجية للقوي العظمي. الي جانب ذلك، فإن المصادر الأخري ذات الأهمية في ميدان العلاقات الدولية، كانت عبارة عن إصدار بعض المجلات والدوريات المتخصصة في الشؤون الخارجية مثل:

-FOREIGN AFFAIRS,,
-INTERNATIONAL CONCILIATION,
-FOREIGN POLICY REPORTS,
-THE AMERICAN JOURNAL OF INTERNATIONAL LAW

خلال الثلاثينات (1930) من القرن الماضي برز إلى الوجود اعتراف كان يتبلور في أوساط معلمي العلاقات الدولية فيما يتعلق بالفجوة والجفوة التي بدأت تظهر للعيان بين ما يمكن تسميته بالمثاليين والواقعيين. لأن الجو الأكاديمي بعد الحرب العالمية الأولي قاد كلا النزعتين الي لبحث عن الوسائل التي يمكن أن تحول دون اندلاع حرب عالمية أخري(ثانية) . ونتيجة لهذه الرؤية، فإن الواجب قد حث علي القيام بدراسة جدية للعلاقات الدولية.ومن ثم، فإن آراء كل من المدرستين قد إلتقيتا واصطدمتا فيما يختص بأحسن وأنجع الوسائل التي تمكن من تحقيق وضمان السلام علي وجه البسيطة أو المعمورة.

وأثناء تلك المرحلة لم يوجد أي تحليل واضح وبيّن كذلك الذي قام به وقدمه [EDWARD H. CARR] لمعاينة الاختلافات الفلسفية الجوهرية التي

كانت تميز المثاليين عن الواقعيين من خلال عمله المشهور الذي نشر في سنة1939؛ إلا أنه لم يكن له تأثير يستحق الذكر في أوساط المثقفين والسياسيين الأمريكيين الي حين أرخت الحرب العالمية الثانية سدولها ،وعقب انتصار الحلفاء علي دول المحور. معظم التحاليل المقارنة التي جاءت بعد [CARR] اقتبست منه واستعانت به إلى أبعد الحدود[11].

عنوان كتابه هو [عشرون عاما أزمة 1919_1939: مقدمة لدراسة العلاقات الدولية (لندن:1939)] .[THE TWENTY YEARS CRISIS 1919-1939] رأي فيه (CARR) أن المثاليين والي حد بعيد قد انحدروا في نظرتهم الدولية من التنويرية التفاؤلية التي سادت القرن الثامن عشر ،وليبيرالية القرن التاسع عشر ،والمثالية الولسنية التي طبعت مطلع القرن العشرين.

ان هذه النزعة المثالية الطوباوية ارتبطت الي حد ما ارتباطا بينا بنزعة انجليزية أمريكية ؛كانت تفترض في رجال الدول أنهم أناس يتمتعون بحرية اختيار واسعة في صناعتهم للسياسات الخارجية لبلدانهم[12].أنظر كتاب:[LAWRANCE MARTIN –THE ANGLO-AMERICAN TRADITION IN FOREIGN AFFAIRS]... أكد الطرباويون علي كيف يتعين علي الناس أن يتصرفوا في علاقتهم الدولية، لا علي كيف أن يتصرفوا في الواقع .وأكدوا كذلك علي الحقوق والالتزامات القانونية التي يمكن أن تحفظ السلام ،وعلي وضع الثقة في محكمة دولية (للرأي العام الدولي) لتحقيق وصيانة هذا السلام.

في الجهة المقابلة ،أصر الواقعيون من جانبهم علي تأكيد مفهوم القوة والمصلحة الوطنية لا علي المثل العليا في مجال العلاقات الدولية . تمتاز الواقعية في أساسها بأنها نزعة محافظة ،تحرية (PRUDENT) ومشككة في مبادئ المثاليين . وكانت تقدر وتحترم تمام التقدير الدروس التاريخية . من

المرجح أو بالأحرى أن هذه النزعة كانت نزعة تشاؤمية لا تفاؤلية في نظرتها لسير وتطور العلاقات السياسية الدولية .

نظر الواقعيون إلي فكرة [القوة] وكأنها مبدأ أساسي في العلوم الاجتماعية مثلها مثل الطاقة في العلوم الفيزيائية ، علي الرغم من اعترافاتهم بأن علاقات القوة كثيرا ما تقنع بشروط أو تحاط بظروف ذات طابع أخلاقي وقانوني(أو حقوقي) . يرى الواقعيون أن النظريات ما هي إلا عقلية تسويغية (تبريرية) ولا تعطي أي شئ مهما كان ، كأن تعطي الأحداث شكلا معينا .

وانتقد الواقعيون المثاليين بأنهم سمحوا للأهداف الخيالية المثالية أن تحرف وتشوه التقنيات العلمية للتحليل .لذلك ، بينما كان المثاليون تواقين للتحول والتغير الذي يسمح ويساعد الأمم علي نزع السلاح ، فإن الواقعيين كانوا قلقين بشأن الأمن الوطني لدولهم وحاجتها إلي إلى القوة العسكرية ، التي تؤمن سلامتها الترابية وتدعم وتؤيدالدبلوماسية (وقوةالتفاوض) .هذا النقاش بين المثاليين والواقعيين في الحقيقة ما هو الا نقاش كلاسيكي، لذلك، فان كارCAAR حلل هذا الدياليكتيك (أي الجدل) وكان هذا التحليل في حينه ووقته المناسب، الأزمة الدولية الحديثة، يتابع كارCAAR:ان تحطم البناء الكلي للطوباوية كان في الأساس بسبب ايقاع المصالح ، في رأيه ان الأخلاق الدولية بين الحربين كانت غير مبررة لمصالح البلدان الناطقة بالأنجليزية كقوي وكأمر واقع.فهي لصالح المقتنع ضد الغير مقتنع ، وللذين يملكون ضد الذين لا يملكون.

كارCAAR بصفته محلل براجماتي ، صب جام نقده علي أفكار النزعتين، فهو يري أنه في حين أن المثاليين تجاهلوا دروس التاريخ، فان الواقعيين أحيانا يقرأون التاريخ بتشاؤم .وفي حين أن المثاليين غالوا في القول بحرية الاختيار ، فان الواقعيين هم الآخرون غالوا في

السببية الثابتة التي جعلتهم ينزلقون نحو القول بالتحكمية والحتمية. وفي حين أن المثاليين استطاعوا تشويش المصلحة الذاتية بمبادئ أخلاقية عالمية، فان الواقعيين قد فشلوا في تقديم أي خلفية لعمل ذو معني وهادف. علي سبيل المثال نجد أن كار (CAAR) يرفض أن الفكر الانساني يمكنه تعديل وتحوير العمل الانساني، لأن الهدف سابق علي الملاحظة.فالرؤية ربما تظهر كلية غير واقعية.ويورد كار علي سبيل التدليل ايضا أن الكيميائيين الذين حاولوا تحويل الرصاص الي ذهب عندما فشل مشروعهم بدأوا يفحصون الوقائع والحقائق بنوع من التروي والمثابرة. بهذه الطريقة –وهكذا مهدوا لميلاد علم حديث .

ويختم كار[CARR] نقده ''أنه علي ما يبدوا أن النظرية السياسية تحتوي علي بعض العناصر من الطوباوية ومن والواقعية علي حد سواء، ذات قوة وقيم أخلاقية.

المبحث الثالث
العلاقات بين الدول والنظام السياسي

أثناء الثلاثينات حاول الأكاديميون علي جهتي الأطلسي أن يأتوا بتحديد لطبيعة ومجال العلاقات الدولية كحقل للدراسة في التعليم الجامعي .وفي 1935 ، اقترح السيد[Alfred Zimmern] –أستاذ العلاقات الدولية في جامعة [Oxford]- أن ''دراسة العلاقات الدولية ،تمتد من العلوم الطبيعية من جهة الي الفلسفة الأخلاقية من جهة أخرى ''.وقد عرف مجالها علي أنه ليس موضوعا واحدا ،أو نظاما واحدا بل هو حزمة من المواضيع ...تدرس وتفحص من زاوية واحدة [13]. والشئ الملاحظ ان مناقشة [مجال] دراسة العلاقات الدولية، والمنهجية التي يمكن اتباعها لدراستها ،قد تطورت ووصلت إلي حد التكثيف قبل الحرب العالمية الثانية واستمرت هذه العملية حتى الآن .

كان (NICHOLAS J SPYKMAN) من ضمن المفكرين الأوائل الذين اقترحوا تعريفا محددا للعلاقات الدولية ،واستعمل تعبير [العلاقات بين الدول]INTERSTATE RELATIONS. ولم يتوقع أن يحصل هذا الاصطلاح علي قبول لدي أوساط الدراسين: العلاقات الدولية ما هي الاعلاقات بين أفراد مستقلين بذاتهم ينتمون إلي دول.... السلوك الدولي هو سلوك اجتماعي لأفراد أو جماعات هادفة...أو تقع تحت تأثير وجود أو سلوك أفراد أو جماعات تنتمي إلي دولة أخرى [14]. لقد عرف [SPYKMAN]عبارة [العلاقات الدولية] تعريفا غير محدد ،بحيث يستطيع الانسان أن يدرج ضمنها عدة نشاطات مختلفة: مثل الاتصالات الدولية ،المعاملات التجارية ،المباريات الرياضية ،الملتقيات العلمية للسياحة ،تبادل برامج النشاطات التربوية و التبشيرية الدينية وغيرها.

إن عالم السياسة قد يكون مهتما بظواهر الأسواق الدولية ،الألعاب الأولمبية ،الشركات المتعددة الجنسيات ،تغير أنماط التجارة الخارجية

اليابانيــة ، علاقات الفاتيكــان [VATICAN] مــع ''إســرائيل'' والبلــدان العربية ، طالما أن هذه الظواهر[أي العلاقات] تتضمن صفة العلاقات السياسية الدولية.

لآن الحكومات والمنظمات الدولية تعتبر هويات مهمة في العلاقات الدولية من وجهة نظر الاعتماد المتبادل والمصالح الخاصة بكل فاعل في العلاقات الدولية ، لذلك فإن العلماء السياسيين كانوا يلحون علي أن مجال دراستهم هو ملكة علوم العلاقات الدولية ، لأن دراسة العلاقات الدولية ، في الواقع ، في الجامعات الأمريكية عادة ما كانت تنظم ضمن أقسام العلوم السياسية .وبالتالي فإن تعريفها قد اعتمد علي تعريف السياسة أو[علم السياسة].علي أية حال فإن العمل السياسي كبعد مميز للحياة الاجتماعية والإنسانية لا يمكن تخفيض رتبته إلي مجال آخر من الدراسة مثل الاقتصاد أو علم النفس .أكثر التعارف التي تكرر ورودها ذلك الذي أتي به [DAVID EASTON] ''السياسة هي تلك العملية التي بواسطتها [أو بها] أو وفقا لها يتم توزيع القيم الاجتماعية [15].

هذا التعريف يتصف بأنه تعريف محدود في استعمالاتنا .ويستلزم تنظيم المجتمع تحت قيادة واشراف حكومة فعالة ، التي يمكن أن يدرج ضمن وظائفها السياسة الدولية ، لعدم وجود سلطة فعالة علي المستوى الدولي تأخذ بزمام هذه الأمور .حقيقة أن تخيل السياسة وكأنها نشاط يحدث بين الجماعات يغطي كل من العلاقات داخل الدول [INTRANATIONAL] والسياسة الدولية .العمل السياسي هو الآخر يتطلب تنظيم وتوجيه القوة الاجتماعية عبر عدة أشكال وهيئات للوصول الي تحقيق أهداف مرغوب فيها من قبل الجماعة .لأن العمل السياسي يهدف أولا وقبل كل شئ الي الإنجاز السياسي بغية تحقيق أهداف الجماعة ، بالإضافة إلي القيام بالإجراءات اللازمة واثبات فعالية القيادة .وتجدر الاشارة هنا أن كل من قيم ومصالح الجماعة تكون وتشكل الأهداف والوسائل السياسية علي حد سواء.

بتعبير [MORTON A KAPLAN]: ''السياسة ما هي إلا نسق [SYSTEM]، تستلزم إظهار القدرات والقوة، فالسياسة تستطيع أن تدرج تحتها إعادة بناء علاقات الأدوار في النسق، أو إنشاء أو إنهاء أدوار ،والقيام كذلك بتوزيع المصالح والقيم[16]. والقوة ما هي الا القدرة علي تحقيق الأهداف ،بالرغم من أن القوة في أوقات كثيرة تصبح هدفا في حد ذاته .ولقد سيطرت هذه الفكرة داخليا ضمن نطاق الأمم ،وخارجيا في العالم علي نطاق واسع .لكن يجب علينا أن لا نغض الطرف عن الاختلاف في بنيات المجتمعات الوطنية، حيث توجد نزعة عادية نحو مركزة القوة والقيم ،وبنية المجتمع الدولي حيث تكون القوة و القيم [لامركزية] .

opeikandl.com

المبحث الرابع
[واقعية] ما بعد الحرب العالمية الثانية

لم يكن من المفاجئ أن النتائج الفورية والمباشرة للحرب العالمية الثانية قد غيرت التفكير الغربي في مجال العلاقات الدولية وحولته عن اتجاهه من المثالية إلي الواقعية ،ومن التركيز علي القانون والمنظمات الدولية إلي إعطاء أهمية كبري لمكونات القوة .وعلي ما يبدوا كان يوجد هناك علي الأقل تبرير وإثبات جزئي للجدل الهيجلي [Hegelian] حيث نظر إلي التاريخ علي أنه يتطور بفعل تصادم الأضداد .وفي الواقع أن الحرب تزيد من رغبة الإنسان في السلام .

غير أن الملايين قد اقتيدوا إلي التقاتل في خلاف عسكري لحرب عالمية ثانية ،وذلك عندما نجد أن كل النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول –الأمم الحديثة قد أشعلت فتيل حرب عالمية عامة .وعندما دفعت أهداف هذه الحرب العلماء والمهندسين وأكرهتهم علي ابتكار و إنجاز أسلحة جديدة بالبحث عن الألغاز الأساسية للمسألة. والشيء الذي كان شيئا محتوما ويتعذر اجتنابه هو أن جيل ما بعد الحرب قد أعتبر ووضع في حسابه أن السياسة الدولية ما هي إلا'' صراع قوة '' .حتى أن كثير من المحللين الذين كانوا يميلون كل الميل الي النزعة المثالية وعوضا عن ذلك فإنهم بادروا إلي المناداة بدمج القانون الدولي والمنظمات الدولية بقوة فعالة لضمان السلام العالي وأمن الدول والتسوية العادية للخلافات.

ونشرت عدة أعمال في أواخر الأربعينات(s، 1940) لتؤكد علي''مدخل القوة '' في دراسة العلاقات الدولية ،ولاحظ [MartinWright] أن ''ما يميز التاريخ الحديث عن تاريخ القرون الوسطي هو غلبة وسيطرة فكرة القوة علي فكرة الحق...[17].،وحلل العالم الإنجليزي [شوارزنبرجر Schwarzenberger''القوة'' كعامل رئيسي في السياسة الدولية، وأكد أنه في غياب جماعة دولية فعلية فإن الجماعات داخل النسق الدولي ،يتوقع

منها أن تفعل ما هي قادرة علي فعله ،وليس فعل ما نصحت وحثت أخلاقيا أن تفعله''.لذلك فإن القوة في نظر [شوارزنبرجرSchwarzenberger] عبارة عن شئ متعمد وداعر وهدام .القوة هي توحيد وضم لتأثير مقنع أو مقتنع به و قسر قاسي وشديد ، لكن أولئك الذين يديرون الأمر بنجاح ويستخدمون القوة ببراعة وقتما يحافظوا علي /ويدافعون عن /ويعرضون القدرة لفرض إرادتهم علي من هم غير مذعنين أو مطاوعين ،فإنه من العادي يفضلون بلوغ أهدافهم بوضعهم للتهديد علي دفعات فعالة دون اللجوء إلي ممارسة أو استخدام القوة المادية القاهرة [18].

عندما نقول أن السياسة الدولية تستند إلي مفهوم القوة ليس بالضرورة أن يدل ذلك محل سخرية أو سذاجة بسيطة ولو ضمنيا ،ذلك أن الأفراد والجماعات يبحثون باطراد لزيادة قوتهم وأمنهم واعتبار الدول كائنات عدوانية و توسعية ،وأن طبيعة السياسة الدولية دائما وأبدا ''حمراء الأسنان والمخالب أو البراثن '' [Red in Tooth and Claw]،لأن تشييد القوة لا يدل ضمنيا حتى علي الرغبة في استعمال الضغط علي الدول الأخرى .إن اتباع سياسة القوة يوازن ضد دوافع أخرى ذات طبيعة اقتصادية ،ونفسية، اجتماعية، وثقافية .أن بذل الجهود الإنسانية لتحقيق أشباع هذه الحاجة غير السياسية، عادة ما يضع عدة عوائق أمام نمو القدرة، واتباع سياسة القوة وراء الحدود الوطنية [19] .لأن بعض الدول تستخدم القسم الأعظم من قوتها لتنمية نفسها وتحسين نوعية حياة مواطنيها الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية. بعض الدول التي يمكن وصفها بأنها أقل مرتبة من حيث القوة وضعت نفسها بالقرب من القوي العظمي ،أو الابتعاد عنها ،أي اختيار أحد أمرين إما البحث عن الأمن بواسطة عدم التدخل ،العزلة،الحياد،التهدئة أو التسكين ،أو اختيار قبول الاعتماد علي هذه القوة الدولية أو تلك ،أو الرضا بحالة التبعية.

حتي القوى العظمى التي – تاريخيا- وضعت أسس ومبادئ لعبة السياسة الدولية هي الآن ليست متساوية القوة .لأن تاريخ العلاقات بين الدول

ما هو إلا تاريخ خلاف (صراع) وتعاون .وعلي الرغم من أن القوى العظمى قد لجأت عبر التاريخ الحديث إلي استعمال القوة ،أو علي الأقل التهديد باستخدامها للدفاع عن/أو التقدم بما تعتبره مصالح أساسية باتجاه أو ضد الدول الأخرى .ربما قد يكون الدافع الأساسي الأكثر احتمالا لمعرفة حقيقة النظام الدولي هو أن كل من القوة والقيم مازالت غير ممركزة .دون أي شك، أن النسق الدولي في وجوده يمكن تصوره كتكوين معقد لمتغيرات تتفاعل فيما بينها .لكن النسق الدولي في النهاية ما هو إلا مجتمع يتشكل من الجماعات الوطنية السياسية التي تدرك تصرفات بعضها البعض .ولحد الآن لا توجد جماعة دولية تتقاسم القيم السياسية علي مستوى عالمي التي تساهم وتسهل إنشاء هيئة دولية آمرة بالتصرفات المتوقعة ،تحترم بعض الضوابط ،وعلاقات التعاون ،تحاكم علاقات الخلاف وتقضي علي'' العنف''أو علي الأقل تراقبه.

إن الكتب التي طبعت خلال العقدين التاليين للحرب العالمية الثانية عكست نمو ظاهرة الاعتراف في ربوع الولايات المتحدة بأن ''القوة'' قد حازت علي مكانة مرموقة واستحوذت علي نفوس محللي العلاقات الدولية، وانعكست علي محتويات تحليلاتهم للشؤون الخارجية آنذاك . علي أن النص الكتابي الذي كان له تأثير أكبر من غيره من النصوص في التعليم الجامعي للعلاقات الدولية ،هو ذلك العمل الذي قدمه [HANS J MORGENTHAU] الذي عرف ''المصلحة الوطنية بمفهوم القوة''

[HANS J MORGENTHAU DEFINED NATIONAL INTEREST IN TERMS OF PWER].(20)

أثناء هذه الفترة نجد أن بقية الكتب الأخرى ذات الأهمية كلها أو معظمها خصصت مشتملاتها أو جزء منها لطبيعة القوة وسياسة القوة .كل هذه الملفات تقربا خصصت علي الأقل فصل أو فصلين أو أكثر لمناقشة طبيعة القوة ،وعلي الأقل فصلين آخرين لتحليل عناصر القوة المختلفة،أو عوامل القوة

كالموقع الجغرافي وأهميته الجيوستراتيجية ،طبيعة السكان، والموارد المادية والمواد الأولية.

بالإضافة إلي ذلك ،نجد فإن معظم الفصول الخاصة بدراسة العلاقات الدولية قد ألحت علي تزويد الطلبة بفصول يتعين أن تحتوي علي بعض المواضيع التي أحرزت علي الاهتمام الأكبر من قبل الدراسيين قبل الحرب العالمية الثانية كالقانون الدولي والأخلاق والمنظمات الدولية و التسويات السلمية للعلاقات الدولية ،الدبلوماسية،وتسيير العلاقات الخارجية.

وظهر إلي جانب ذلك بعض المفاهيم مثل الاستعمار، القومية، الإمبريالية، ظهور العالم الثالث ،الأيديولوجية،والدعاية . بعض فصول المؤلفات احتوت علي مواضيع أخري من مثل الأحلاف العسكرية، التكامل الجهوي والوظيفي ،نزع السلاح ،ومراقبة التسليح،وبعض الوسائل والأساليب الخاصة بالسياسة الخارجية كعدم الانحياز والعزلة. بعض النصوص أدرجت ضمن تحليلاتها بعض التعليلات التاريخية المختارة للسياسات الخارجية للقوى القائدة في المجال الدولي . وتوسعت دائرة الاهتمام تدريجيا بالتحليلات النظرية التي تضمنتها أعمال أخري علي خلاف الكتب الوصفية السابقة .علي الرغم من استعمال كتاب [QUINCY WRIGHT] ''دراسة العلاقات الدولية ''كنص إلا أنه كان إلي حد بعيد ينتمي إلي هذا التصنيف النظري. ونظر [MORTONAKAPLAN] و [CHARLES A McCLELLAND] في مفهوم النسق الدولي في حين أن [KENNETHW.THOMPSON] تناول بالتحليل الواقعية السياسية . وركز كل من [RICHARD C.SNYDER] وأتباعه (His colleagues)علي موضوع اتخاذ القرار السياسي في مجال السياسة الخارجية ...وحاول [JOHN H. HERZ] أن يجعل في متناول فهم طلبة العلاقات الدولية قضايا السياسة الدولية في عصر الذرة وذلك عن طريق التحليل.وتناول [ERNST B.HAAS] موضوع التكامل الوظيفي .أما [RICHARD N.ROSECRANCE] فقد قام بتحليل السياسة

الدولية استنادا إلي عملية الفعل ورد الفعل خلال عدة فترات دبلوماسية.[KARLW. DEUTSCH] هو الآخر أراد أن يدنوا من هذه المواضيع كما لو كانت عبارة عن عملية تنمية في الاتصالات الاجتماعية [SOCIAL COMMUNICATION]وعالج [THOMASC.SCHELLING] الموضوع بالاعتماد علي استراتيجية الخلاف .وحاول [GEORGE E.LISKA]أن يشرح نظرية التوازن [EQUILIBRTIUM] ويقدم موضوع العلاقات الدولية من خلال أو في إطار هذه النظرية [21].

ونكتفي بهذا القدر ،وإن أشرنا إلي القليل فقط ،لأن عدة مقتطفات من أدبيات النظرية الدولية أثناء الستينات هي التي سهلت عملية الاقبال علي دراسةالعلاقات الدولية.

opelkandl.com

المبحث الخامس
العلاقات الدولية أثناء الستينيات و السبعينات

علـي حـد تعـبير كـل مـن [FOX .A.BARKER] و[T . R . WILLIAM] أن العقود الزمنية الحديثة قد شهدت وأثمرت عدة مجهودات رائعة وجهت في معظمها إلي التركيز علي المنهجيات ووسائل البحث والتحليل في العلاقات الدولية.حيث كان يلاحظ الإقبال الكبير علي دراسة هذه المواضيع في الجامعات ومعاهد البحوث، بالإضافة إلي بعض المنظمات الأخري.كل هذا ترك أثره البارز في نزعات التفكير في مجال العلاقات الدولية[22]، وبذلك ظهرت عدة دراسات ودوريات ذات قيمة أكادمية كبيرة مثل:

-WORLD POLITICS, -REVIEW OF POLITICS, -ORBIS, -JOURNAL OF CONFLICT RESOLUTION, -THE JOURNAL OF PEACE RESEARCH,
-INTERNATIONAL STUDIES QUARTERLY.

ولتكملة الأفكار التي نشرت ضمن هذه الدوريات بعض النشرات العامة الأخرى، زيادة علي ذلك ،فإن تقدم تكنولوجيا الأسلحة تطلب من الباحثين بل وحتم عليهم معالجة موضوع [الرعب الدولي DETERRENCE]، ومراقبة السلاح .ومن ثم فإن العلماء [SCHOLARS] و طلبة العلاقات الدولية ركزوا خاصة علي تعريف المواضيع والمشاكل كمفهوم وطبيعة القطبية الثنائية لموازين القوى، ودبلوماسية الأحلاف ، وتجارب التكامل الجهوي (أوربا الغربية) وسياسة التنمية بالأخص في الدول النامية ،وعملية انحسار الظاهرة الاستعمارية بفعل موجة حركات التحرير الوطنية ،وظاهرة تجمع الدول الآفرو- آسيوية في إطار حركة عدم الانحياز .وسياسة العلاقات الإقتصادية الدولية ،وسياسات الدول الاقتصادية علي النطاق الدولي ،في عصر امتاز بخلاف ايديولوجي حاد –بعض التحقيقات هي الأخرى نجدها قد ركزت علي الإستراتيجية

النفسية، حسم الخلافات، ودور نخب السياسة الخارجية، وطبيعة عملية صنع و اتخاذ القرار السياسي ، غير أن المنهجية التي يمكن أن تدرس بها العلاقات الدولية كانت هي الشغل الشاغل للمناقشات الكثيرة والمتشعبة بين الواقعيين والمثاليين الذين تدحرجوا إلي مؤخرة المرتبة الثانية ،أو بالأحرى المناقشات بين التقليديين والسلوكيين (التي سنتناولها في مكان آخر من هذا العمل). في أواسط الستينات، أصبحت برامج وملتقيات ''النظرية الدولية''معروفة من قبل الأساتذة والطلبة في الجامعات ، خاصة في مستوى ما قبل الدراسات العليا.وتركز عمل البعض علي مدخل نظري واحد مفضلين إياه علي غيره من المداخل او علي قليل من النظريات فقط ، في حين أصبح البعض الآخر من ذوى إدراك واسع.وعلي أية حال ، فإنه لم توجد هناك أية نظرية كانت تفي بالمراد ، تستطيع أن تلم، بحقائق النسق الدولي المعقد . غير أن المحلل النظري الذي ينتظر منه أن يشارك مشاركة ذات معني في هذا المجال يتعين عليه أن يعمل ضمن نشاط فكرى متحد . لكن لابد للطالب المبتدئ أن يتحكم /أو يشد بزمام مجموعة متعددة من المعارف قبل أن يبحر في مجال العلاقات الدولية بنفسه . لذلك فمن المعقول أن يفحص طلاب العلاقات الدولية ويعاينوا بنظرة عامة مجال دراستهم، مفضلين ذلك علي أي تصرف آخر ، غير رشيد ، كاختيار نظرية واحدة مثلا [23].

خاتمة

في الفصل القادم سنقف علي حقيقة أن معظم المؤلفات الخاصة بالعلاقات الدولية ، التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية كانت تهدف الي تزود مجال الدراسة بنظرية واحدة أو عدة نظريات، غير أن ذلك تم بطريقة هامشية ، ونادرا ما أقلق المفكرون راحة بالهم باهتمامهم ببناء نظرية نسقيه (نظامية) متكاملة واحدة، غير أن الاستثناء الوحيدة هو ما قام به الأستاذ هانس مرجنتو صاحب نظرية القوة والمصلحة الوطنية في العلاقات الدولية.

هوامش المبحث الأول

(1)James E.Dougherty/Robert L.Pfaltzgraff,Jr ,Contending Theories of International Relations(New York:J.B.Lippincott,1971),p.1.

(2)Ibid.,p.2.

(3)Ibid.(4)Ibid.(5)Ibid.(6)Ibid.(7)Ibid.(8) Ibid.(9) Ibid.(10) Ibid.

(11) Edward H.Carr, The Twenty Years 'Crisis, 1919-1939: An Introduction To The Study of International Relations (London: Macmillan Company, 1939 and New York: Harper and Row, 1964).

(12) Lawrence Martin, eds.,The Anglo-American Tradition in Foreign Affairs(New Haven:Yale University Press,1956).

(13)Zimmern,A.,University Teaching of International Relations(Paris:IIIC.,League of Nations,1939),pp.7-9.

(14) Nicholas J.Spykman, Proceedings of The 5th conference of Teachers of International Law and related Subjects (Washington: CEIP.,1933),p.60.

(15) David Easton, The Political System (New York: Alfred A.Knopf, 1959), pp.129-131.

(16)Morton A.Kaplan, System and Process in International Politics (New York: John Wiley and sons, 1957), pp.13-14.

(17) Martin Wright, Power Politics (London: Royal Institute of International Affairs, 1946), p.11.

(18) George Schwarzenberger, Power Politics (New York: Frederick A.Paeger, 1951), pp.13-14.

(19) Vernon Van Dyke, international Politics(New York:Appleton –Century-Crofts,1957),p.10.

(20) HANS J. MORGENTHAU, POLITICS AMONG NATIONS (New York: Alfred A.Knopf, 1948,1954,1960 &1967).

(21)Quincy Wright,The Study of International Relations

(New York: Appleton –Century-Crofts,1955).

أنظر في هذا الموضوع كذلك:

- Moton Kaplan,Macropolitics(Chicago:1969),
- McClelland,C.A., and others The Theory and Practice of International Relations(Englewood:1960),
- Tompson,K.W.,Conflict and Cooperation Among Nations(New York:1960),
- Snyder,R.C.,Toword Greater Order in The study of Inter national Politics,VII(April,1955),461-478.
- John H.Herz ,The Rise and Demise of Territorial State in World Politics ,IX(April,1957),474.
- Haas ,E.B.,and Whiting ,A.S.,Dynamics of International Relations(New York;McGrawHillBook Company,1956).
- Rosecrance,R.N., ACTION and REACTION in World Politics(Boston:1963),
-Karl,W.,Deutsch,THENERVESOF GOVERNMENT(New York: Free Press,194),
- Schelling ,T. C.,and Halperin,M.H., Strategy and Arms Control(New York :1961),
-LISKA,G.F., Nations in Alliances:The Limits of Interdependence(Baltimore:1962).

(22) Fox Broker A., and William T.R.,'' The Teaching Of International Relation In The USA''WORLD POLITICS, XIII (July, 1961), 339-359.

(23) Op-Cit.

Obeikandl.com

المبحث السادس
مجال، وطبيعة ،ووظيفة النظرية في العلاقات الدولية

سنغطي هذا الموضوع من خلال طرح السؤالين :ماهي مساهمات الكتب النصوصية ؟ وماذا ندرس في العلاقات الدولية؟

المطلب الأول
مساهمات الكتب النصوصية (TextBooks)

طبيعيا كل الذين ساهموا بكتب نصوصية لبناء صرح العلاقات الدولية،وجدوا أنفسهم مضطرين ''لوضع'' نظريات خاصة، بالإضافة إلي القيام بتلخيص جل النظريات التي تتضارب وتتناقص في تناولها لعدة مواضيع متفرقة مثل القوة ، توازن القوى، الإمبريالية ،آثار التطور التكنولوجي علي الوسائل العسكرية ،والعلاقات الدولية ...وغيرها .لكن من النادر أن تجد أي مجهود كان يحدد بالضبط الارتباطات فيما بين النظريات التي نوقشت في فصل من الفصول والنظريات التي نوقشت في فصول أخري.بهدف الوصول إلي إمكانية تطابق أي من هذه النظريات وملاءمتها في إطار كلي،تام،وأوسع . ولكن هذا لا يعني أننا نفترض أن الذين قاموا بإنجاز الكتب النصوصية كانوا يفتقرون إلي نظرية أساسية للعلاقات الدولية.

لكن يمكن لأي طالب ذي نزعة فلسفية نقدية القيام بتحليل يقظ (حذر) لمفاهيم وفرضيات أي من الكتب السابقة.وأن يبني وينظم من جديد نظرية المؤلف بدقة ووضوح تامين.ومع ذلك وعادة فإن النظرية لم توضح صراحة في النصوص المقدمة ،ربما كان ذلك غير متعذر اجتنابه بسبب تعقد مجال دراسة العلاقات الدولية التي أراد المؤلفون عرضها علي الطلبة،لذلك كله، فإن مساهمة هذه الكتب النصوصية في مجال تطور نظرية للعلاقات الدولية كانت منعدمة بل أهملت وغض النظرعنها.فإذا تفحصنا كل هذه المساهمات المتعددة فإنها شاركت فقط بتعريف بسيط ،اعتبره بعض النقاد كمادة خام يمكن من خلاله تعريف هدف ومجال العلاقات الدولية ،لأنه قبل تطوير أي نظرية يتعين علينا أن نلم- علي الأقل- بالاجماع الغامض في

obeikandi.com

أوساط علماء العلاقات الدولية :مثل ماذا يستلزمه حقل العلاقات الدولية ، ؟للإجابة علي هذا السؤال يجب أن نعترف أن الكتب النصوصية وبعض الأعمال الأخرى المهمة خلال العقود الزمنية القليلة قد زودتنا –علي الأقل- بنظرة شاملة ومحاولة إدراك واسعة ، علي الرغم من قصورها وتخلفها في تقديم(أي تزويدنا) تعريف محدد و مضبوط للعلاقات الدولية.لأن علماء العلاقات الدولية كل واحد منهم كانت له نظرته الخاصة به ، وفهمه لمجال العلاقات بين الدول ، ولم يحاولوا فرض أية تصورات وأفكار حازمة أو جازمة.

وكنا نرى في تقديم كل هذه الكتب النصوصية ومحتوياتها مجرد تشجيع للقارئ في أن يحاول إثراء معلوماته ، وذلك بتوسيع حلقة المناقشة بين الأساتذة والمعلمين والطلبة ، بإدراج بعض النظريات المعترف بها في هذا الحقل من الدراسة في حلبة المناقشة.

المطلب الثاني
ماذا ندرس في مجال العلاقات الدولية؟

علي الرغم من أن علماء العلاقات الدولية حتي الآن لم يتفقوا علي ما يتضمنه (أو يبعده)مجال دراستهم ، فإن طالب العلاقات الدولية يتعين عليه أن يقتنع بنفسه وعقله بالظاهرة التي ستكون محلا للدراسة التي من الممكن أن يحقق فيها أو حولها .قال فديدريك دان[Dunn] : أن العلاقات الدولية هي تلك العلاقات التي تأخذ مجراها أو تحدث عبر الحدود الوطنية ، وقال :يمكن أن ننظر الي هذه العلاقات علي أنها هي جهاز المعرفة أو البناء المعارفى الذي يمكننا من فهم هذه الظاهرة التي تنشا بين الدول في أي وقت معطي[24].

نستطيع أن نعتبر هذه المداخلة مدخلا جيدا لفهم ما يحدث بين الدول ، لكن هل يمكن لهذا المدخل أن يفي بالمراد ؟علي أية حال، فإن هذا التعريف يمكن اعتباره تعريفا شاملا للعلاقات بين الدول ، الا أنه لا يحدد موضوع الدراسة بالعلاقات الرسمية فيما بين الدول والحكومات.ولكن عندما نعود

إلي السؤال الذي طرحناه سبقا ،هل هذا التعريف واسع جدا ؟ يمكننا أن نشير إلي اقتراح تقدم به بعض شراح العلاقات الدولية، المتمثل فى أننا نستطيع أن نؤهل العلاقات العابرة للحدود الوطنية بالاستناد إلي أسس أهميتها السياسة.علي سبيل المثال فقط يمكننا أن نركز علي علاقات القوة بين الوحدات السياسية الأساسية في العالم .وقبول هذه الوحدات، وعلاقات القوة ،والعمل بهذا الاقتراح،وبالتالي فإننا نقبل النسق(أو النظام) السياسي علي أنه هو الهيكل (البناء) الأساسي الرئيسي المنظم في مجال دراستنا . إذن لا يسعنا إلا ملاحظة أن هذا التعريف يمكنه أن يكون تعريفا مقيدا جدا حيث أنه ينص علي أن العلاقات الدولية هي فقط (العلاقات عبر الحدود الوطنية)ويبقي عبارة عن محاولة لا تغطي كل الظواهر التي تدخل ضمن نطاق مجال العلاقات الدولية،كالصلات والارتباطات الجارية بين السياسات الداخلية و السياسات الخارجية للدول وغير ذلك من الفاعلين الدوليين.

opelkandl.com

المبحث السابع
ما هي وحدات الدراسة ومستويات التحليل؟

لأول وهلة يتخيل للقارئ، أن الإجابة علي السؤال : ما هي وحدات الدراسة و ما هي مستويات التحليل؟ ،يمكن أن تكون سهلة وبسيطة، غير انه كلما واصل الإجابة عنه، فإنها أي الإجابة ستزداد صعوبة. وستستمر الصعوبة حتى بعد الإجابة عن هذا السؤال، و سؤال سابق ،كان يتعلق بهدف ومجال العلاقات الدولية؛وهل هي مجرد صورة من صور تجميع لبعض الشؤون الاقتصادية،والاجتماعية والثقافية وإضافتها إلى جانب العلاقات السياسية للدول والحكومات والشعوب.بعبارات أخري، العلاقات الدولية؛تتألف من العلاقات السياسية للدول والحكومات والشعوب يضاف اليها جانب آخر من جوانب النشاط علي المستوي الدولي يتعلق ببعض الشؤون الاقتصادية، الاجتماعية ، والثقافية.

عادة ما يكون للباحث ميول(أونزوع) في التفكير نحو الأخذ بعين الاعتبار''الوحدات'' و ''المستويات التحليلية'' أو ''مستويات التحليل'' والأخذ بالدول والحكومات وحدها كمرجع أساسي.ذلك لأن العلاقات الدولية أصبحت في تفكيرنا هي العلاقات بين الدول- علي الأقل لأوقات معينة . لكننا في هذه الحالة قد نواجه عدة مشاكل حتى عند أي مستوي سياسي محض، لأن الوحدات المشار إليها سابقا والتي تتمثل في الدول تعتريها باستمرار عدة تغيرات تاريخية (متواصلة).حتى وإن جري هذا التغير خلال وقت قصير كنصف قرن مثلا منذ الحرب العالمية الأولي حتى الستينات من القرن الماضي.حيث وقعت الخريطة السياسية للعالم تحت تأثير تغير ملحوظ خاصة عندما ظهر بدل الإمبراطوريات الاستعمارية دول لا تحصي ولا تعد. والسؤال الآن هو :هل نتقيد فقط بهدف ومجال الدراسة بأنه العلاقات بين الدول ذات السيادة؟ماذا نقول عن المستعمرات والمحميات ، الأقطار الواقعة تحت الوصاية الدولية،والدول المقسمة، والدول الأخرى الواقعة تحت حالة

استثنائية؟ وماذا نقول عن المنظمات بين الحكومات مثل الأمم المتحدة ، ومنظمة الحلف الأطلسي، والمجموعة الاقتصادية الأوروبية ،وجامعة الدول العربية وغيرها. وهي هويات يمكن للحكومات نفسها أن تقيم معها علاقات ومعاملات دبلوماسية جوهرية؟ وقد توصل عالم العلاقات الدولية [QUINCY WRIGHT] إلي هذه الخاتمة :''من الواضح أن العلاقات الدولية تتضمن علاقات بين هويات متعددة مختلفة غير مؤكدة السيادة.العلاقات الدولية كحقل دراسة تعتبر غير مقيد بالشكلية القانونية ،التي تستطيع وحدها في أي لحظة أن تعرف بالضبط ما هي الهويات التي لها سيادة وتلك التي ليس لها سيادة [25].

ويجدر بنا أن نشير هنا إلي أنه من الصعب في عالم مقسم أيديولوجيا إيجاد طريقة رسمية شكلية دقيقة لتعريف مفهوم السيادة .علي سبيل المثال فقط:هل المجتمع الدولي (أو الرأي العام الدولي الحقيقي) يعترف بتقسيم كل من كوريا وفيتنام إلي شمالية وجنوبية، و ألمانيا سابقا إلي شرقية وغربية. إن لم نقل كم يوجد من دولة عربية؟

عدة جماعات سياسية أخرى منظمة أضيفت إلي جانب الدول، وافترض البعض أنها عبارة عن وحدات مناسبة للدراسة أو''فاعلين'' في العلاقات الدولية .من داخل الدول يمكن فحص دور هذه الجماعات المنظمة (المنظمات والمؤسسات والجماعات) كالأحزاب السياسية، والكنائس، الاقليات القومية، الصحافة ،وجماعات المصالح الاقتصادية –العمال والمزارعين والصناع تراهم إما متلهفين وتواقين للتصدير، أو اتباع سياسة الحماية ضد الواردات الأجنبية . واستنتج:[ARNOLD WOLFERS] أن العقود الحديثة قد شهدت ردة فعل جامحة ضد المدخل التقليدي للعلاقات الدولية، الذي كان يؤكد علي أن الدول وحدها هي ما يسمي ''بالفاعلين الدوليين''، وأن كل الأحداث والتغيرات الهامة علي الساحة الدولية مردها أساسا إلي سياسات الحكومات الوطنية. رد الفعل هذا أخذ شكلين

معينين، الأول هو ظهور نظرية جديدة وضعت الفرد الكائن الحي في المركز الذي خصص سابقا للدولة –الأمة، والآخر هو التأكيد علي وجود ''فاعلين'' يتصرفون علي المستوي الدولي إلي جانب الدولة –الأمة ، خاصة المنظمات الدولية.

وظهر مدخل الأفراد ''كفاعلين دوليين ''في بداية الأمر في صورة ما أطلق عليه نظريا [THE MINDS-OF –MEN] للسياسات الدولية.

ثم تلاها بعد حين مدخل صنع –القرار [THE DECISION-MAKING APPROACH]. ولقد كان هدف النظريات الجديدة هو تعويض واستبدال الفكرة المجردة للدولة- الأمة بالوقائع والحقيقة الحية للذاكرات، الإرادات، والقلوب الإنسانية ، لكن النتيجة كانت في مجملها عبارة عن استبدال مجموعة أفكار وتعبيرات مجردة بأخرى لأن السياسة ما هي إلا فكرة مجردة أيضا لفحص الفرد علي حدة بوسائل من المتوقع هي التي ينشط بها سياسيا .

تبعا لما جاء به [أرنولد ولفرز] ، من الخطأ الافتراض أنه بسبب إتباع الأفراد من البلد (أ) نفس الأهداف للرفاهية الشخصية (الخاصة) ، السعادة ، والازدهار الإجتماعي مثلما يتصرف الأفراد في البلد (ب) ويجب أن يكون شيئا بسيطا إنهاء الخصومات السياسة ، والعمل علي تحسين علاقات التعاون والازدهار بين الدولتين (أ) و(ب) وذلك بواسطة إرساء مبادئ المصلحة الجيدة والسلمية للأفراد ضد تخطيط و إعداد القوة الشيطانية للحكومات.

ووجد [ولفرز] أن مدخل [THE MINDS OF MEN]عبارة عن مدخل مضلل، لأنه بالرغم من حقيقة أن العلاقات الدولية- في معني من المعاني _تأخذ مكانها هنا [INHERE] مشيرا بإصبعه إلي رأسه (في ذاكرات الناس) وليس فقط في الأحداث السيكولوجية لأنها ليست هي كل شيء الذي تتشكل منه السياسات الدولية، لذلك فإن السيكولوجي أو العالم النفساني وحده بدون العالم السياسي لا يستطيع أن يشرح بكفاءة

الواقع الدولي الذي لا ينبثق عن ومن الأفراد فقط ولكن كذلك من الجماعات المنظمة من عدة أحجام ، بالتعبير الإنجليزي [ORGANIZATIONS OF MANY MANGNITUDES]. وينقلنا هذا التصور إلي المسألة الصعبة العالقة في العلوم الاجتماعية وهي العلاقة بين [MACROCOSMIC] و[MICROCOSMIC] فيما بين بناءات و هياكل القوة الجماعية، والأفراد كأشخاص [27].

حاول [STEWART E .PEERY] أن يصنع جسرا يربط الهوة بين قطبي المستويين للتحليل الدولي، وذلك بدمج المعلومات النفسية مع المفاهيم السياسة –بإلقاء الضوء علي الدور الوطني ،الذي يلعبه الأشخاص عندما يتفاعلون مع الأشخاص الذين هم غير مواطنين- الذين لا ينتمون إلي الأمة[28]. و لقد شكك كذلك في مفهوم الدولة - الأمة بسبب تأثير التنمية التكلونوجيا الحديثة .

وفي سنة1957 جادل [JOHNH .HERZ]لذلك وناقشه علي أن التراب الوطني للدولة- الأمة يمكن اعتباره الوحدة السياسية الأساسية في النسق السياسي الدولي فقط طالما أن قوتها الدفاعية تمكنها من المحافظة عليه، وبالتالي تحقيق أمن وحماية مواطنيها .قال [هيرز] بتقدم وتطور الأسلحة النووية وقال:أن الدولة - الأمة وترابها الوطني بدأ يمران عبر تجربة جديدة وهي المنفذة [PERMEABILITY] التي بدأت تطمس وتمحو معاني الوحدة [THE UNIT] والانسجام ،والقوة،وعلاقات القوة،والسيادة الوطنية، والاستقلال [29].

وفيما بعد اعترف أن تصوراته لدور الدولة ، ربما كانت بالنسبة اليه في مراحل نضجها ،لأن التطورات النووية مثلما هي استطاعت أن تحبط من قيمة التراب الوطني أو الإقليم نظريا ،فانها كذلك جعلت جميع القوات عبارة عن قوات تقليدية لا يتاح استخدامها واستعمالها في العلاقات بين القوى

العظمي وتحالفاتها العسكرية ، لذلك كان لا بد من إنتاج اتجاهات ونزعات جديدة نحو ومن أجل إقليمية جديدة (من الأقاليم الوطنية).

ونتيجة لعمل [ARNOLD TOYNBEE] ''دراسة للتاريخ'' افترض ضمنيا أكثر منه صراحة –ذلك أن الدولة –الأمة لا تشكل أو تؤلف وحدة قابلة - [AVIABLE] للدراسة سواء كانت تاريخية أو سياسية ،ويتعين تعويضها بالنطاق الحضاري والمدني (من المدنية) [30].أكد [توينبي] في فترة سابقة –بين الحربين –علي الدولة –الأمة لكن بعد ذلك غير رأيه ونظرته نحو الحضارات والمدنيات وأديان العالم .كما أصبح أكثر واقعية في دفاعه عن ميزان القوة.

ويقترح ويعرض علينا [KAPLAN] أن نتأمل ونفكر في النسق الدولي ككل [INTERNATIONAL-SYSTEM] بأنه الشيء الملائم لتحليل بحثي وتحقيقي [31].في حين نجد أن [MODELSKI MODELS] أراد أن يطور الفرضية القائلة بأنه يوجد هناك نموذجين رئيسيين [TWOBASIC MODELS] للنسق الاقتصادي والاجتماعي –زراعي وصناعي –كل منهما له متضمناته المعينة للسياسة الخارجية ،لأية أمة من الأمم وللسياسة الدولية كمجموع أو ككل [32].

ويصوب [WilliamH، RIKER] فكره نحو أهمية الإئتلافات السياسية من أجل بناء نظرية[33]. وذلك من خلال كتابه :نظرية الإئتلافات السياسية (1962).

في أي حادث أو حادثة دولية سنواجه مشكل الاختيار بين [THEMICRO-LEVEL] و[THEMACRO-LEVEL] للتحليل، لكن هذا الاختيار لا يكون صعبا فحسب بل سيصبح موضع خلاف وجدل حاد فيما يختص بموضوع دراسة العلاقات الدولية.

المبحث الثامن
هل يتعين علي الدراسة والنظرية أن تركز علي الواقع الدولي المعاصر؟

كان هناك انجذاب لا مفر منه نحو الأخذ بالنسق الدولي من اجل البحث والدراسة والتحري. حيث يمكن الحصول علي وسائل التمويل والتأييد بسهولة تامة ،خاصة إذا كان موضوع الدراسة أو البحث ينال الاهتمام المعاصر _لحد ما :مثل البحث في ظاهرة وقعت خلال الفترة منذ الحرب العالمية الثانية. وعلي الرغم من إغراءات الحاضر آنذاك،فإن معظم العلماء ذوي التجربة في ميدان العلاقات الدولية؛ كانوا يدركون تمام الإدراك أنه إذا كان تطوير نظرية للعلاقات الدولية سيؤدي إلي التمكن من القدرة التنبؤية، فإن الإلمام بالعلاقات بين الدول ومعرفتها في الماضي :هي الأخرى تعتبر أساسية وجوهرية ما دامت تقوم بمهمة توسيع وتقوية المعلومات والبيانات التي تنشأ وتتألف منها العروض الخاصة بمجريات بالعلاقات الدولية. لكن نشب خلاف حول قيمة المعرفة التاريخية ودورها ومدي فعاليتها في فهم واستيعاب الشؤون الدولية؛ هذا الخلاف يمكن إرجاعه _ ولو جزئيا_ إلي الجدل الذي وقع بين التقليديين والسلوكيين.نالاضافة الي ذلك، فإن [HEDLEY BULL] قد لام وانتقد المدربين والمطبقين للمدخل العلمي واتهمهم بأن''تفكيرهم تميز _بدون شك_ بالافتقار الي معني للتحقيق في مجال السياسة الدولية ،كتقليد متواصل، أضف الي ذلك أن هؤلاء المدربين والمطبقين اشار اليهم بأنهم قد دخلوا الي هذا الميدان جد متأخرين[34].لكن علي الرغم من أن جل العلماء السلوكيون قد تقدموا إلي ميدان العلاقات الدولية بمناهجهم المفضلة في ذلك الوقت،فإنهم كانوا قلما ما يبدأون في الشروع في بحث يتطلب أويستلزم وسائل(أوطرق)عجيبة [TECHNIQUES -HISTORIOGRAPHICAL]. ليس صحيحا ومضبوطا الافتراض أن جميع المنظرين العلميين كانوا سلوكيين تجريبيين، وينعتون بأنهم كاتمين

للتاريخ وغير مبالين به، علي سبيل المثال لا الحصر فإن [كوبلانKAPLAN قدافتتح عمله الرئيسي، بمستهل قدم فيه احترامه للتاريخ''هناك احترام واحد، يجب علي علم السياسة الدولية أن يكون مدنيا به دائما للتاريخ''لأن التاريخ هو المخبر الكبير الذي يظهر فيه نشاط الدولي''ودعاكوبلان KAPLANأيضا إلي البحث المستمر في نسق المدنية الدولة في عهد الإغريق القديمة، ونسق الدولة الإيطالي في عهد النهضة، ونسق توازن القوة الذي هيمن علي أوربا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وذلك لتسهيل مقارنة نماذج من السلوكات النظامية في فترات زمنية مختلفة ومتباعدة.لذلك كله، يجب أن ينصب اهتمام المنظر للعلاقات الدولية علي الأنظمة الدولية، ماضيا، حاضرا، ومستقبلا، والافتراضية (أو القائمة علي الافتراض). لذلك يتعين علي المنظر أن لا يحضر نظريته وبحثه في نسق الدولة_الأمة الموجود فقط. حقيقة، أنه لا يستطيع أي باحث أو منظر أن يفهم تمام الفهم، ما هو موجود ويجري الآن، ما لم يتحصل علي شيء أو جزء من المعرفة حول ما كان يوجد ويجري في السابق .جملة الكائنات والمجريات التي تطور منها شيئا فشيئا الواقع الحالي، وما يمكن وجوده، وما يسير الحاضر نحوه، والذي بواسطته نستطيع أن نقيم الحاضر. إن تاريخ العلاقات الدولية ليس هو نظرة العلاقات الدولية، إن تاريخ العلاقات الدولية هو مجرد المادة الخام التي يمكن للمنظر بواسطتها أن يؤدي عمله علي أكمل وجه ممكن. إن جوهر النظرية هو التاريخ الذي يتألف من أحداث فريدة متميزة، فإن أي مرحلة من مراحل التاريخ أو السياسة في معني من المعاني لا تعيد حدوث نفسها إطلاقا. فهي تحدث كما حدثت مرة واحدة..التاريخ في هذا المعني يصبح بعيدا عن مراد النظرية (أي ما تهدف إليه)، وهذا يعني أن التصميم الكلي للنظرية، علي أية حال، هو إلافتراض بأن الأحداث الفريدة المتماثلة هي أيضا أكثر الأمثلة الملموسة التي لها أكثر الافتراضات العامة. خاصيتها الفريدة من نوعها هي أنها ليس لها ما يجمعها مع أي شيء آخر يفوق.

المبحث التاسع
ما هي العلاقة بين النظرية والتطبيق

فرق أرسطو[ARISTATLE] بين المعرفة والعمل (أي ما يعرفه وما يعمله الانسان)، بين العقل التأملي الذي ينشد الفهم ،والعقل التطبيقي الذي يختار طرق خاصة للنشاط في ظروف معينة ومحددة [36]. ديفد هيوم [DAVID HUME] هو الآخر ذهب الي أبعد من ذلك لرسم تغاير حاد فيما بين ثلاثة أصناف للمعرفة:

ا- الجدل والتدليل الاستنتاجي الذي يرجع إلي الحقائق الضرورية والمنطقية للرياضيات والميتافيزيقا .

ب- المعرفة التجريبية التي تتصل ب/وتخص العلاقات السببية التي تظهر للعيان ،التي لا تكون في الواقع ضرورية عقليا .

ج- الأحكام القيمية التي تنبثق من وقائع تاريخية متراكمة كما أثرت علي انفعالات واحساسات الأفراد والمؤسسات .

وفقا لهيوم HUME يجب دائما النظر إلي كل من السياسة والأخلاق علي أنها غير متحررة ومقيدة بالأحكام القيمية ، ومن ثم فهي غير جدلية، برهانية، إستنتاجية ،ولا حتي تجريبية [37] .

لكى نعاين مشكل النظرية والتطبيق في نظر هيوم يمكن أن نقول انه في حين أن الشخص النظري البحت في العادة يهتم مبدئيابعمليات الفكر البرهانى الاستنتاجي ،و بالمعرفة التجريبية التي تقودها عمليات الاستفراء – تتبع الجزئيات للتوصل منها إلي حكم كلي- إلي صيغ معممة، [TO GENERALIZED FORMULATIONS] فإن صانع السياسة .من المألوف انه يهتم بالمعرفة التجريبية الاستقرائية من تجربته الخاصة وليس من مجهود بحث منظم أو نظامي .جاعلا من نفسه يتعلق بالتفاصيل الدقيقة للقيم، والقوى ،والشروط الفاعلة فعلها(أو العاملة) في حالة خاصة معينة .

لذلك فإن السياسي يستطيع أن يتخذ قرارا يوجه إلي هذه الحالة

obeikandl.com

الخـاصة في واقعها الوجودي مفضلا ذلك علي التجريد الشامل والعالمي أو الاحتمالية أو الأرجحية.

في حين أن المنظر الاجتماعي يأمل (ويرغب)في التركيز بالدرجة الأولي علي عناصر عامة لحالات عديدة متعددة ،فإن صانع القرار علي خلاف ذلك فإنه يرغب في الحصول علي معلومات أكثر حول هذه العناصر التي توصف بأنها وفريدة متميزة للقضية التي في متناوله .لكن مخافة أن يتلقى قارئ هذه الأحكام التي أصدرناها في حق النظري والسياسي –انطباعا مغالطا ،فإنه يجب التأكيد علي شدة الخلاف بين المنظر والمطبق،وكذلك أن هذا الخلاف لا يغير الرغبة في أن كل منها حاول تقدير طرق المعرفة الخاصة بالآخر.إن المساحة التي تشكل الحدود المشتركة بين حيزي النظرية والتطبيق [THEINTERFACE] يقود منطقيا إلي طرح عدة أسئلة جد مترابطة . هل كان يوجد لرجال الدول –ذوي التجارب الطويلة نسبيا- نظرية تستحق الدراسة؟هل كان هؤلاء الأشخاص WILSON,CHURCHILL,METTERNICHSTALIN,LENIN ROOSEVELT ,BISMARCK, ،DEGANLLE] ينشطون بالاعتماد أو الاستناد إلي نظرية متماسكة وواعين بها فكريا ؟أو يؤدون أعمالهم بالاستناد إلي تقييمات برجماتية كرد فعل للضغوط السياسة الآنية_؟ الإجابة علي هذا السؤال صعبة للغاية لأن بعض القادة الذين سبق ذكرهم أنجذب نحو أفكار وانعكاسات نظرية دون الأخرى . لذلك، نجد أن [METTERNICH] و[CHURCHILL] مالا إلي [نظرية توازن القوة]،وأكد [WILSON] علي مبدأ تقرير المصير الوطني ،ونظر كل من [LENIN] و[STALIN] في علاقات الإمبريالية الرأسمالية بالأقطار المستعمرة من العالم .ولكن إلي أي مدي استجابت قراراتهم لحالات معينة؟ وإلي أي مدي تدفقت قراراتهم من نظريات ذات صلة بالموضوع؟ بقي هذا عبارة عن حزمة من الموضوعات محل جدال ومناقشة- يظهر أن بعض الخاتمات

(CONCLUSIONS)يمكن الدفاع عنها والمحافظة عليها .ربما يصل معظم رجال الدول إلي اتخاذ أغلبية قراراتهم ، فيما يخص السياسة الخارجية بفعل بعض الانعكاسات الفكرية النظرية .من المحتمل جدا أنهم قد يوازنون، حتي يتمكنون من مزج نظريات مختلفة من خلال مجهوداتهم من أجل الفهم والاختيارالصحيحين والتنبؤ ،أي توقع ردود الأفعال الداخلية والخارجية. وقد لا تكون النظريات التي يتصرفون علي منوالها دائما هي تلك النظريات المعلن عنها صراحة.قد يستطيع رجال الدول في بعض الحالات –توقع نزاعات أو نتائج تصرفات معينة دون مساعدة وتنويرالنظريات المتقدمة جدا .ومن المحتمل أن يفكر رجال الدول في أن تلك هي نظرياتهم الخاصة بهم ،نشأت نتيجة لانعكاسات تجاربهم وخبرتهم الشخصية أو كمحصلة لتراكم تجارب المؤسسات التي كانوا ويشكلون جزء منها ويشتغلون بها– مثل المكتب الخارجي البريطاني ، وإدارة الولايات المتحدة للخارجية –التي هي بالنسبة لهم عارة عن خطوط مرشدة للاختيارات السياسة ،وليست بناءات أو هياكل نظرية تجريدية طورت في الدوائر الأكاديمية، وصيغت بطريقة غير مألوفة لصانعي السياسة ومتخذي القرارات.

وهذه المناقشة التحليلية تقودنا إلي طرح سؤال هو :هل نحن ندرس''وننظر''للسياسة الخارجية أم العلاقات الدولية ؟ كذلك ،يتعين علينا أن نتساءل عما يتضمنه هذا السؤال من ''علوم سياسية'' و ''نظرية بحته''[38].

المبحث العاشر
هل دراسة العلاقات الدولية هي نفسها دراسة السياسة الخارجية؟

يرتبط تصنيف النظرية –التطبيق جزئيا ، علي الرغم من أنه غير كامل، بالتفرقة بين السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، ثم نستخدم هذا الشرح لتوضيح تصنيف النظرية- التطبيق. دون أدني شك ،افترض بعض الكتاب ماضيا وحاضر أن دراسة السياسة الخارجية، ودراسة العلاقات الدولية هي مجرد مترادفات [SYNONYMOUS] لاغير . هذا إن لم نقل أنهم عادلوا السياسات الخارجية لبلدانهم بالعلاقات الدولية ، و طابقوا بين هذه الأخيرة ومجموع كل السياسات الخارجية لجميع الدول –نظريا- أو الدول التي كانوا يهتمون بها لأهداف تطبيقية .حقيقة أن العلاقات بين دولتين يمكنها أن تزودنا بجزء من العينات والمعطيات والحقائق التي تدخل ضمن نطاق دراستنا التجريبية للعلاقات الدولية، علي الرغم من أننا لا نريد أن نطور نظرية شاملة من مثل هذه القاعدة البيانية الضيقة.لكن السؤال هو :هل في حالة ما إذا أخذنا في الحسبان دولتين فقط ،نستطيع أن نصل إلي النتيجة، أنه من الممكن فهم ''العلاقات الدولية'' فهما تاما عن طريق مناقشة السياسات الخارجية ،كل سياسة علي حدة أو بإضافة أحداها إلي الأخرى ؟نظن أن الأمر ليس كذلك ،حتى عندما نسلم بأن صانعي السياسة أو متخذي القرارات السياسة كانوا مجبرين أومكرهين علي الأخذ بعين الاعتبار عمليات الفعل_ ورد الفعل للحصول علي[التغذية الأسترجاعية FEEDBACK من البيئة الخارجية علي إثر أو في أعقاب قراراتهم ويعدلوا من سياساتهم تبعا لذلك .ومع ذلك فإننا لا نعتقد بأن العلاقات الدولية فحسب هي مجموع السياسات الخارجية للأمم .

إن مفهوم ''السياسة الخارجية'' يشير إلي التصييغ (أي الإفراغ في صيغة) والتنفيذ وتقييم الاختيارات الخارجية في وطن واحد ينظر إليها من

منظور ذلك الوطن .إذا أخذنا في الحسبان كل النظام الدولي أو العالمي في كل الحالات فإنه يوجد شيء داخلي فيما يتعلق بالسياسة الخارجية.لا يهم كيف تكون سياسات البلد أو إمكانية مدي عالميتها- أي لايهم كيف هي دولية . السياسة الخارجية تصنع في الداخل ،والعلاقات الدولية تحدث في الخارج –أي خارج الدولة أو الدول في مكان ما بين دولتين أو أكثر.

بالإضافة إلي ذلك ،في حين نجد أن صانعي السياسة يمكنهم أن يكونوا واعين بالسياسة الخارجية ،فإن العلاقات الدولية هي التقاء عدة قوى،وشبكة من النتائج لعمليات التفاعل التي لا يستطيع صانعي السياسة حتى الشعور بها.بصياغة أخرى ،[العلاقات الدولية]تشتمل علي أكثر من حاصل جمع السياسات الخارجية للدول، فهي تنصب علي عمليات تفاعلية أوسع،وليس فقط علي كيف ينظر المشاركون الوطنيون إلي هذه العملية. نضيف بسرعة، أن معرفتنا الجوهرية فيما يتعلق بالعلاقات الدولية قد أتتنا دائما ، وستأتي من دراسات السياسات الخارجية للدول .ونستدرك في هذه الملاحظة الأخيرة ،إن مفهوم العلاقات الدولية لا يقتصر فقط علي بعض أوجه أو مظاهر الواقع التي أشرنا إليها سابقا ،التي تؤثر علي كل عناصر النسق الدولي في وقت متزامن الحدوث. من الممكن أن ندرس العلاقات الدولية لمنطقة من المناطق مثل أمريكا اللاتينية أو الشرق الأوسط طالما أن المنطقة يعترف بها كنسق فرعي أو كما لو أنها [SUB-SYSTEM]ضمن النسق الدولي الكلي .

المبحث الحادى عشر

كيف تختلف العلاقات الدولية عن علم السياسة ''العملية''؟

أولاوقبل كل شئ يتعين علينا أن نتساءل عما هي علوم السياسة''العملية'' ؟للاجابة عن هذا السؤال نبدأ بالقول أن علم السياسة هو شكل من أشكال النظرية ،لكن ومع بعض التحفظ يقصد بالنظرية هنا ليس النظرية البحته الصرفة التي تهدف فقط للفهم .علم السياسة العملي كما يعروف من الأدبيات السياسية يهدف إلي النشاط . لأن عالم السياسة يتوق دائما إلي الفهم الجيد لمجريات الأمور من أجل تحسين قدراته علي الاختيار من عدة بدائل متنافسة، بمنتهي الحكمة والتروي.إن السياسي يرغب دائما في حل المشكل الذي يريد المجتمع حله، أو بعبارة أخري ،هو عادة ذلك المشكل الذي يريد المجتمع الذي ينتمي إليه عالم السياسة أن يحله .من المألوف أن المجهودات النظرية لعالم السياسة تأخذ ''تشكيلة فرضية''، ''في حالة ما إذا إذن'' مثل'' :[في حالة ما إذا] افترضنا أن هذه الجماعة المعينة ترغب في تحقيق هذا الهدف المحدد [إذن] الشيء الآتي يصف الوسائل المتاحة والأكثر فعالية التي تحقق ذلك في الظروف الراهنة في الواقع،فإن عالم السياسة العملي لا يعرف الهدف علي الرغم من أنه يستطيع أن يختاره،فهو يفترض بعض الأهداف كمعطيات، ثم يقوم بتقديم وصفه للوسائل بناء علي ذلك .فإذا سمح لنفسه أن يرتبط عاطفيا بالهدف ،من الممكن جدا أن يكون له تأثير عكسي علي حكمه الفني (أو حكم خبرته) [HIS EXPERT JUDGEMENT] المتعلق بالوسائل التي يمكن اتباعها[39]. قد ينكب عالم السياسة العملي علي مشاكل السياسة الخارجية والعلاقات الدولية علي حد سواء .

تبعا للبعض ،فإن دراسة المشاكل السياسة العملية لا تشكل تهديدا للموضوعية طالما أن اختيارات الدارس المنضبط يسمح لها بأن تأخذ مجراها فقط في فرز المسائل وليس في طريقة الملاحظة والتحليل .

بالنسبة لعالم السياسة العملي الأمريكي مثلا فإن المشاكل المألوفة لديه هي : إيجاد وسائل المراقبة علي تسرب الأسلحة النووية إلي البلدان التي ليست في حوزتها مثل هذه الأسلحة .ترقية مستوى علاقات بلاده مع الحلفاء الأطلسيين ،إلي جانب ترقية السياحة إلي الولايات المتحدة من البلدان التي لها معهم صعوبات في ميزان مدفوعاتها ،وتقوية فعالية مساعدة أو برامج المعلومات الخارجية للولايات المتحدة في إطار منظور الأهداف والمصالح الوطنية الأمريكية .اعتبار الولايات المتحدة دولة قوية ذات مناعة[INVULNERABILITY] متزايدة ،وجديرة بأن يعول عليها [RELIABILITY] ومحل ثقة [CREDIBILITY]، أضف إلي ذلك بعض النوعيات الأخري كالرعب الاستراتيجي وتحسين صورة الولايات المتحدةالأمريكية في الأمم المتحدة .

المشاكل المألوفة التي من المحتمل أن تجلب انتباه العالم السياسي للعلاقات الدولية هي :تحقيق السلام العالمي من خلال القانون الدولي ،إنهاء الحروب العالمية والقضاء عليها ،النزع الكامل والشامل للسلاح ،بناء جهاز لحفظ السلام العالمي ،توسيع حقل الاتصال وترقية وتعزيز التكامل الجهوى في عدة مناطق من العالم .إن الإنسان الذي يهتم بالمسائل السياسية من السياسة الخارجية والعلاقات الدولية قد يكون مهتما أكثر بجانب من هذه المسائل دون الآخر .

يهتم كل واحد من الصنفين من علماء السياسة ''بنظرية دولية'' لكن عوض أن يلعبا دورا خلاقا في تنظيم النظرية الدولية نري أن كلا منهما من المحتمل جدا أن يستعير ما هو في حاجة إليه من النظرية ''الصّرفة'' القائمة أو يخضعها –أو يلويها أو يطوعها لما تكون عليه الحالة ، وبذلك يتبنى الأشياء المستعارة –لأهدافه السياسية .كل منهما له منظوره المشروع الحامل للقيم –الغير متحرر منها .كل منهما أخذ علي نفسه ليس فهم الواقع فحسب ولكن أيضا العمل من أجل تحقيق أهداف مسطرة مسبقا .

هوامش المبحث الثاني

(24) Fredrick S. Dunn,''The Scope of International Relations'' WORLD POLITICS,I (October,1948),p.143.
(25) Op-Cit.p.5.
(26) Arnold Wolfers " The Actors In International Politics "in William T.R .Fox ed. Op-Cit. P.84.
(27) David Singer J., ''MAN & WORLD POLITICS: THE PSYCHOLOGICAL INTERFACE" in Journal of Social Issues. XXIV (July 1968), pp.127-156.
(28) Stewart, E.Perry, "NOTES ON THE ROLE OF NATIONAL:A Social – Psychological Concept for The Study Of International Relations" ,Journal of Conflict Resolution ,I(December,1957),346-363.
(29) Op-Cit.p.474.
(30) Arnold Teynbee,Seehis "ENCOUNTERS BETWEEN CIVILIZATIONS" Harper's C.XCIV (April 1947), 289-294.
(31) Morton Kaplan, Op.Cit.
(32) George Modelski, "Agraria and Industria: Two Models of International System",
Klaus Knorr and Sidney Verba, eds. The international System: Theoretical(World Politics,XIV({October,1961}) (Princeton: Princeton University Press,1961).
(33) William H. Riker, The Theory of Political Coalitions (New Haven: Yale University Press, 1962)
(34) Hedley Bull," International Theory: The Case For Classical Approach" WORLD POLITICS, XVIII (April 1966), 375-376.
(35) Morton Kaplan, New Approaches To International Relations (New York: St. Martin's Press, 1968), pp.399-404.
(36) The Ethics of Aristotle, trans.D.P Chase (New York: Dutton and Company, 1950), Book VI, p.147.
(37)Sheldon S. Wolin,"Hume and Conservatism" American

Political Science Review.XLVIII (December 1954), 999-1016.

(38)David Hume,A Treatise of Human Nature,Part III ,"Of Probability and Knowledge," in The Essential David Hume, intro. by Robert P. Wolff(New York:New American Labrary,1969),pp.53-99.

أنظر كذلك: Michael Polany, الذي تناول الفرق بين نظرية الأعمال وتطبيق الأعمال. Personal Knowledge(Chicago:University of Chicago Press,1958),pp.ff. وأنظر أيضا Sheldon S.Wolin,Op-cit.

(39) D.Lerner and Harold D. Lasswell, eds., THE POLICY SCIENCE: Recent Development in Scope and Method (Stanford: The University Press,1951).

(40) Lasswell H.D., "The Scientific Study of International Relations", TheYearbook of World Affairs (NewYork; Frederick A.Praeger,1958) p.3.

obeikandl.com

المبحث الثانى عشر
ما هي النظرية ؟ وما يمكن توقعه من وجود نظرية للعلاقات الدولية؟

ماهي النظرية؟ و نظرية العلاقات الدولية؟

علي المستوي البسيط، نظرية _أي نظرية كائن ما كانت- هي شرح وتفسير وتحليل عام وشامل لظاهرة مختارة ومحددة، وضعت بطريقة مقنعة من طرف شخص اطلع عليها بمميزات الواقع محل الدراسة . بالطبع، إن هذا التعريف الأولي أو الابتدائي لا يسلم من بعض المشاكل المتولدة عن المعرفة الموضوعية، وغير الموضوعية : لأن النظرية أي نظرية يمكن أن تقنع شارحها وترهب مستمعه .كلاهما يمكنه الإدعاء أنه خبير بمميزات الواقع. من جانبنا أننا لا نحاول أن نبت في هذه الإشكالية الصعبة التي بقيت بدون حل لعدة قرون . ومن جانبنا أيضا ، نري أن النظرية ما هي إلا طريقة لتنظيم معرفتنا وبالتالي فإننا نستطيع أن نطرح أسئلة جديرة بالإجابة يمكن أن تقود مسار البحث تجاه إجابات صحيحة . والآن نستطيع أن نواصل الكلام عن النظرية :النظرية كما استعملت في العلوم الدقيقة أو الصحيحة [THEEXACT SCIENCES] والعلوم الاجتماعية (SOCIAL SCIENCES) التي عادة ما يطلق عليها :العلوم الغير صحيحة (THENON EXACT SCIENCES) [41].

يوضح [ANATOL RAPOPORT] معني النظرية ويبسطها في نطاق العلوم الصحيحة بمثال البندول [رقاص الساعة BENDULUM]. في هذا المثال نجد أن المسألة تتمثل في شرح حركة رقاص الساعة، أي أن المشكل هو شرح حركته ،وذلك لتقديم الانطباعات (الفكرات): ''لماذا؟'' و''بسبب'' ماذا؟ هذه الأسئلة المطروحة تنبع من الرغبة فيما نريد ملاحظته.لاحظ أن السؤال لماذا يتحرك رقاص الساعة دائريا ؟عبارة عن سؤال غامض إلي أبعد الحدود .وبالتالي فالواجب الأول الملقي علي عاتق العلوم الصحيحة هو ضبط حدود معاني هذه الأسئلة . السؤال :لماذا يتحرك رقاص

الساعة كما هو يتحرك (أو يفعلAS IT DOES)؟أقرب إلي النقطة . لكن الجملة كما هو يتحرك (أو يفعلAS IT DOES): ؟! يعرض السائل لأسئلة مضادة: ماذا يعني ب ''كما هو يتحرك (أو يفعل)''؟هذا عبارة عن تحد لوصف كيف أن رقاص الساعة يتحرك في الواقع . وهذا_مؤقتا _يلفت النظر بعيدا عن''الشرح''نحو ''الوصف'' . قبل الشرح يتعين علينا أن نعين الأمور بدقة،ولذلك سنواجه مستلزمات القياس الرياضي لنقيس ما نريد شرحه.

أما فيما هو متوفرمن أدبيات فلسفة العلم ،فاننا نجدأن النظريةقد افترضت وجود معني خاص. وعرفت النظرية وكأنها بناء رمزي ،أو ،سلسلة من المركبات المترابطة ، أو المفاهيم ،هذا بالإضافة إلي التعاريف، والقوانين،والقضايا ،والنظريات [THEOREMS]،والحقائق المقررة أو البديهيات [AXIOMS].

النظرية ،تضع أمامنا نظرة نظامية نسقية للظاهرة ،لتقديم سلسلة من الافتراضات أو الفرضيات التي تعين العلاقات بين المتغيرات من جهة من أجل تقديم شروح وتفاسير ومن جهة أخري الحصول علي تنبؤات فيما يتعلق بالظاهرة محل الفحص والتحقيق .

في ميدان العوم الطبيعية يمكن أن ننظر إلي النظرية علي أنها نسق يتألف من العناصر التالية :

أ- مجموعة من البديهيات التي يفترض صدقها ،التي يمكن أن نختبرها فقط باختبار نتائجها المنطقية –البديهية لا يمكن استنتاجها من البيانات التي يتضمنها النظام (النسق) .

ب- البيانات أو القضايا التي استنتجت من البديهيات أو من القضايا (النظريات) الأخرى و التعريفات .

ج- تعاريف ذات مفاهيم وصفية تتضمنها البديهيات [42].

النظرية ،اذن ،هي مجموعة من القوانين التي ارتبطت استنتاجيا. بعض القوانين عبارة عن تأملات [PROMISES] التي يمكن استنتاج بعض

القوانين الأخرى منها .هذه القوانين التي تفيد كتأملات يطلق عليها بديهيات النظرية [AXIOMS].أما القوانين التي تستنتج من البديهيات هي قضايا النظرية [THEOREMS] .إن اعتبار أي قانون [LAW] كـ [ANAXIOM] أو [A THEOREM] يعتمد علي موقعه في النظرية .

النظرية لا تستلزم بالضرورة أن تستند إلي مراجع تجريبية لإثبات صحتها .فهي تحتاج فقط إلي إثبات منطقي للعلاقات التي استنتجت وسط الظاهر التي تتعلق بها النظرية .استنادا إلي [ABRAHAM KAPLAN] إن القدرة علي الاستعمال أو التطبيق العملي للنظرية بنجاح ليس شرطا ضروريا لنجاحها ،حيث أن فشل الاستعمال أو التطبيق العملي، يمكن إرجاعه إلي عدة عوامل خارجة عن النظرية نفسها[43].

علي الرغم من أن طلبة العلوم الاجتماعية، قد حاولوا أن يطوروا بعض النظريات _كما أثبتنا سالفا _علي غرار ما فعله طلبة العلوم الدقيقة ؛فإن لفظة[نظرية] استحوذت علي عدة مفاهيم ضمن العلوم الاجتماعية بصفة عامة، وفي العلاقات الدولية بصفة خاصة ،مثل:

- النظرية :نظام استنتاجي،فرضياته تحمل معني منطقي داخلي منسجم ومتناسق ، علي الرغم من أن مثل هذه النظم النظرية قد تكون متحررة من ارتباطات العالم الواقعي، فإنه يمكن مقارنتها به. نجد أن نظم [MORTON KAPLAN] و[GEORGE F.MODEELSKI] أمثلة توضح مثل هذا التصور والفهم للنظرية.

- النظرية :هيكل أو إطار تصوري للفهم الذي يمكن أن يمدنا بترتيب منظم و يفحص الحقائق (العينات)، المعلومات، والبيانات والمعطيات [DATA] التي جمعت من العالم الحقيقي ،التي يمكن وضعها في تصنيفات أو حيزات صغيرة[STOTS] يتضمنها هيكل أو بنية نظام [FRAMEWORK]. بالنظر إلي النسق الاجتماعي [PARSONS] والنظم السياسية [EASTON] و[ALMOND]، وصنع القرار [SNYDER] فإنها تعتبر

هياكل موضحة لمثل هذه التصنيفات [TAXONOMIES].

- النظرية :مجموعة من الفرضيات حول السلوك السياسي استخلصت استقرائيا من الدراسات التجريبية ،أو من الفحوصات المقارنة من مواد حالة (CASE) من الماضي .المقارنة التاريخية لكارل دوتش[DEUTSCH] وأتباعه- لتكامل الوحدات الوطنية التي تقع في الجزء الشمالي للأطلسي،تمثل مجهودا كبيرا لتطوير مجموعة من الفرضيات تتعلق بجملة من الشروط الأساسية لبعض نماذج التكامل.

- النظرية: هي تطوير مجموعة من البيانات والافادات [STATEMENTS]حول السلوك العقلي الذي يعتمد علي دافع مهيمن كالقوة مثلا. هذه النظرية تزودنا بوصف للسلوك السياسي للفاعلين العاقلين [RATIONAL ACTORS] مثل هذه الخصائص والأنماط السلوكية يمكن مقارنتها بالعالم الحقيقي في واحدة أو أكثر من المراحل التاريخية .علي سبيل المثال فإن [HANS J,MORGENTHAU] قد تمسك بمثل هذه النظرية للسياسة [POLITIS] ''بالواقع الفعلي لدهن صورة عقلانية للمشهد أو المظهر السياسي ،تصوب نحو التضاد بين ما هو المظهر السياسي في الواقع ،وما هو المرغوب فيه،لكن لا يمكن أن تكتمل إطلاقا''[Butcan never completely become].

- النظرية : هي مجموعة من المعايير والقيم [ASET OF NORMS OR VALUES] أو قواعد من السلوك والتصرف تشير إلي كيف يتعين علي الفاعلين السياسيين أن يسلكوا أو يتصرفوا .دراسة العلاقات الدولية بمنظار التمني الأخلاقي [ETHICAL DESIDERATA] العرفي التقليدي.جزء كبير من مشتملات الفلسفة السياسية يتكون من مثل هذه النظرية . النظرية المعيارية تؤسس مقاييس لقياس التصرف الموجود ،والذي يجب أن يطمح إليه السلوك السياسي .علي العموم، فإن ظاهرة الحرب العالمية في العصر النووي ،حرب العصابات، والحرب المضادة لها ،والفجوة التي تفصل

بين الأمم المتقدمة (الغنية) التي تزداد تقدما وغني وقوة والدول المتخلفة (الفقيرة) التي تزداد تخلفا وفقرا وضعفا ،وتفشي واستفحال ظاهرة مايسمي بالارهاب وعدم التفريق بينه وبين المقاومة ضد الاحتلال والهيمنة ،كل ذلك قاد إلي تأكيد متواصل في بعض الدول علي العوامل الأخلاقية في تحليل العلاقات الدولية .

- النظرية: هي مجموعة من الافتراضات لنشاط رجل الدولة.مثل هذه الافتراضات عادة ما تكون : ❖افتراضات حول النسق العالمي مثل وجود توازن القوة –الذي عرف بطرق مختلفة –الذي يتصرف فيه الفاعلين السياسيين افتراضيا ، بأن يقوموا بهذا النشاط أو ذاك لبلوغ هدف خاص ،❖أو التوصيات السياسية المستندة إلي نتائج الدراسة ،أو مجموعة أمثلة لنوع خاص السلوك السياسي .

يختلف التقليديون والسلوكيون في أحوال كثيرة في مداخلهم للنظرية. أعطي دايفد سينقر [DAVID SINGER] بشيء من الوضوح الاختلاف الظاهر بينهم بالإشارة إلي نسبة [N/V RATIO] العدد /المتغيرات [N/V] و فيها (N)تشير إلي عدد [NUMBER]القضايا التي درست ،و(V) يشير إلي عدد المتغيرات [VARIABLES] التي نالت نصيبها من الفحص. فوجد أن العالم التقليدي النموذجي يقلل إلي الحد الأدنى- عدد القضايا المدروسة (**N**) ويكثر إلي حد أقصي من المتغيرات التي هي قيد الفحص (V)، في حين وجد أن العالم السلوكي كان يعمل العكس. و قد لاحظ [SINGER] أيضا أن لكل مدخل من هذه المداخل نقائصه ،إذا كان العالم يحقق أو يبحث حول متغير واحد فقط أو القليل في الكون كله ، أو نسق الدول- الأمم ، فإنه يقع في خطأ في التجنيس المفرط [OVERHOMOGENIZING] للوحدات [UNITS] المختلفة ، وإتلاف بعض الاختلافات المهمة فيما بينها. قد لا يغطي بعض الارتباطات الهامة لكن لا يجرؤ علي أن يدلي بالسببية [CAUSALITY].

من جهة أخرى، إذا كان العالم يتناول فقط قليل من الدول الأمم عادة ما ينزلق إلي طريق معاكس ومشوش للتأكيد المفرط لخصوصيات كل دولة- أمة .المبالغة في اظهار الاختلافات دون التشابهات (أو الأشياء المتماثلة) والوصول إلي الخاتمة .إنه ليس فقط البحث عن قوانين عامة للسلوك السياسي الشامل يكون غير ذي جدوى ،لكن الارتباطات التي يطلق عليها السلوكيين [مهمة إحصائيا] هي ليست كل الأهمية بالنسبة للمحلل.دايفد سينقر [SINGES] نفسه يعتبر النزعة للتجنيس المفرط أو الإفراط فيه [OVER HOMOGENIGING] أقل خطورة في مفهوم المنهجية العلمية من نزعة الإظهار المفرط للاختلافات [44].

النظريات الكبرى:

لقد نظر طلبة العلوم الاجتماعية في مستويات مختلفة للملاحظة والتحليل. تطور النظريات الكبرى[GRAND THEORIES] يوضح التنظير الذي يحتوي علي العلاقات المتبادلة فيما بين القليل أو الكثير من المتغيرات التي تشرح الظاهرة ذات المدى الواسع؛أو واسعة المدى [A WIDERANGE OF PHENOMENA].

إن محاولات بعض الكتاب من أمثال [PARSONS] و [EASTON] لتطوير هياكل لتنظيم الحقائق والبيانات التي تتعلق بالنسق الاجتماعية والسياسية توضح كنه و ماهية النظرية الكبرى وفي معني ذلك :إنه يدرج تحتها معظم ، إن لم نقل كل السلوك السياسي . [THAT THEIR TAXONOMIES ENCOMPASS MOST ,IF NOT ALL ,OF POLITICAL BEHAVIOR]؛

إن أعمال الكتاب الواقعيين في مجال العلاقات الدولية مثل [هانس مرجنتو MORGENTHAU] يمكن اعتبارها مجهودات تسعي لبناء نظرية كبيرة .بعض الكتاب الآخرين ركزوا علي نظريات ذات مدي متوسط [MIDDLE-RANGE] رسمت وأعدت لشرح أو دراسة مدى محدود للظاهرة

السياسية بالاستناد إلي عدد قليل من المتغيرات . الكتاب الذين انصب اهتمام دراستهم علي شروط التكامل السياسي ، النزاع أو سلوك الأمم في إطار أي تحالف- انكبوا علي التنظير للمدى المتوسط . ما كان يشغل بالهم هو إيجاد و تطوير ما يشبه جزر لنظرية والتي من الممكن ربطها بنظرية كبري للعلاقات الدولية مستقبلا.

عادة ما يجد طالب علاقات الدولية بعض الصعوبات في الإحاطة بمعني النظريات ذات المدى المتوسط ،معظم المشاكل النظرية في ميدان العلاقات الدولية تكون في المدى المتوسط .لماذا يقود التكامل الاقتصادي في بعض القطاعات الخاصة للاقتصاد (أو لا يقود)إلي تكامل سياسي للدول-الأمم [NATION–STATES] ؟كيف تكون إجراءات مراقبة السلاح – غير رسمية ،ضمنية ،ثنائية- استنادا إلي عملية المفاوضات الرسمية لاتفاق لمراقبة الأسلحة ؟ما هي ديناميكية تورط القوي العظمي (سياسيا ،اقتصاديا ،وعسكريا) في حروب العالم الثالث الثورية؟في حالة ما إذا انسحب أحد الأعضاء من إئتلاف معين؛ ما تأثير ذلك علي باقي الأعضاء؟ في الواقع يستطيع الطلبة أن يزودوا أنفسهم ببعض الفرضيات التي يمكن اختبارها لشرح نظرية ذات مدي متوسط.

إن معني نظرية عامة أو'' نظرية كبيرة''للعلاقات الدولية عادة ما يكون أكثر صعوبة علي الفهم مما سبق- حتى علي الخبراء الدوليين؛المبرزين في العلاقات الدولية.حسبما رأي رايت[QUINCY-WRIGHT] إن وجود نظرية كبيرة في العلاقات الدولية يعني توفر نظرية شاملة يمكن فهمها ، وتعتبر نظرية متلاحمة وجهاز معرفة صحيح لذاته، وتشارك في الفهم،والتنبؤ ،والتقييم،الي جانب مراقبة العلاقات الدولية (بين الدول) والظروف السائدة في العالم[45].غير أن رايت [WRIGHT]استطاع أن يتوسع في تعريفه هذا أن النظرية يجب أن تغطي كل مظاهر (أو وجوه)حقل العلاقات الدولية.ويجب أن يعبر عنها بمقترحات أو قضايا معممة ،

واضحة،ودقيقة وصحيحة وبالقليل قدر المستطاع . بكلمات أخري،يجب أن تكون النظرية مقتصدة وليست منتشرة ومسهبة ومعقدة؛ كأن تكون مركبة ومشوشة (كان العلماء دائما يصوغون الحقيقة العلمية بجمال فني والجمال بالبساطة الفكرية).

وكل جزء من النظرية يجب أن ينسجم منطقيا مع باقي الأجزاء الأخرى. النظرية يتعين أن تصاغ في شكل مشير (مرشد)الي تحسين متواصل وحتى الآن ،عوض عن أن تكون مجرد محض تأملية ،ويجب أن تكون فرضياتها [ITS THESES]قادرة علي ثبوت ومواصلة تحقيق صحتها بالاستناد الي الشواهد والدلائل المتاحة.ويجب أن تساهم في المعرفة الموضوعية للواقع الدولي علي خلاف تلك النظريات التي شوشت بمنظور وطني.يجب أن تساعدنا النظرية علي التنبؤ علي الأقل ببعض الأشياء ، وتساعدنا كذلك علي الوصول الي أحكام قيمية حتي ولو كانت عملية التقيم الأخلاقي غير كلية ومنسجمة مع تقليد [حرية القيم] [VALUE-FREE] للمنهج العلمي،وهكذا ختم رايت [WRIGHT] مناقشته و تعليقية فيما يتعلق بصفات ومميزات النظرية العامة التي تنبأ بها . هو نفسه اقتنع –ونحن معه – بأن النظرية التي تستطيع أن تحقق كل هذه المطالب ،أو المتطلبات المثالية ستكون صعبة التحقيق في الواقع .

وطور رايت [WRIGHT] بعض الأفكار التي سلطت الضوء علي دراسة ونظرية العلاقات الدولية من خلال عمله الكبير . إعترف بأن مجال دراسة العلاقات الدولية [ASTUDY OF INTERNATIONAL RELATIONS] مازال ''علما ناشئا مظهرا القليل من الوحدة من وجهة النظر المنهجية والمنطق'' [Ibid.] .

ويفترض أن مجال العلاقات الدولية من الممكن أن يتم فهمه أحسن من السابق عن طريق أربعة مناظير(أو منظورات) ، علي حد تعبيره FOUR BASICINT THROUGH IFAPPROACHED

ELLECTUALPERSPECTIVES]: _فكرية (التاريخ ، الفن، العلم ،والفلسفة)في رأيه أن الواقع الإجتماعي يمكن تقسيمه تقسيما مقنعا إلي أربعة أصناف كالآتي :

- الواقعي أوالفعلي [THE ACTUAL] :ما كانت أو ما تكون معرفته عن طريق المنهجية الوصفية –التصورية .
- الممكن: ما يمكن معرفته عن طريق مناهج التأمل النظرية .
- المحتمل: ما يمكن معرفته عن طريق مناهج التنبؤ .
- المرغوب أو المأمول: ما يمكن معرفته عن طريق المناهج الأخلاقية أو إنعكاسات معيارية [Ibid.] .

كما قال رايت [WRIGHT] :هذه الأصناف الأربعة –كما يبدو- تقابل وتتطابق مع التاريخ ،والفن ،والعلم ، والفلسفة .ونحن نرى بأن هذا التصنيف جدير بالتأمل والمناقشة والنقد .علاوة علي ذلك فإن رايت تناول بشيء من التوسع جذور هذه المجالات في العلاقات الدولية : القانون الدولي . التاريخ الدبلوماسي . العلوم العسكرية . السياسية الدولية . المنظمات الدولية . التجارة الدولية . الحكومة الاستعمارية وسير العلاقات الخارجية . وتاريخ العالم ،جغرافية العالم ،علم اجتماع وعلم نفس العلاقات الدولية ،ودراسات السكان ،و التكنولوجيا ...الخ.

المبحث الثالث عشر
هل يمكن إيجاد نظرية ''علمية'' للعلاقات الدولية؟

إن معني لفظ ''علمية'' هو في الحقيقة معني نسبي ،لأن لفظ ''علم'' لا تدل علي أكثر من جهاز معرفة وطريقة لاكتشاف معرفة جديدة . إن كل ما يقنع الإنسان الذكي البارع في أي فترة من عمره باعتباره وسيلة لتوسيع حدود نطاق مداركه وبراعته يعتبر ''علمي'' ويتحقق التقدم العلمي الجوهري عادة عندما يبدأ الإنسان بقبول معرفة ميدان الدراسة المتداول في أوساط العلماء. باستطاعة كل فرد علي حدة إعادة تنظيم جهاز المعرفة الموجود إلي حد ما وذلك لتعزيز فهمه العلمي لها .

لكن عليه أن يأخذ شيئا ما كمعطيات سبق وأن تأسست بالاستناد إلي الملاحظة التجريبية وإلي الخبرة والتفكير الإنساني.

لما كان التعلم اجتماعيا ،فالفرد إذن لا يستطيع كل يوم أن يخلق عالمه الجديد .وعندما يتحكم الباحث المحقق في جهاز المعرفة الموجود فعلا، وينظم هذه المعرفة من أجل أهدافه فإنه يناشدأو يلتمس ''جهل ذو معني''[HE PLEADS A MEANINGFUL IGNORANCE]هنا ''ما أعلمه ، وما لا أعلمه ،شيء يستحق المعرفة؟! هذا عبارة عن سؤال مهم جدا ،إذا سئلت ذلك مرارا فإنه لن تكون هناك علوم اجتماعية تصنف بأنها ذات مستوى قيمة أقل من العلوم الصحيحة :[OFLAW-LEVEL VALUE] . وعنداختيار مجال البحث، فإن السؤال الذي يجب طرحه بوضوح وذلك قدر المستطاع،وبالتالي فإن [الكميةQUATIFICATION] هنا تبرهن علي نفسها بأنها شيء ضروري ومفيد [46] . علي سبيل المثال ،ومن أجل الإطلاع علي الدراسات الكمية في العلاقات الدولية،يستطيع الطلبة أن يتحققوا من ذلك في كتب كل من مرتن كوبلان :مداخل جديدة للعلاقات الدولية، و ريتشارد ميزت ستين روكار :مقارنة الأمم :استعمال المعطيات الكمية في البحوث العبر وطنية ،وجون ميلر:مداخل للقياس في العلاقات

الدولية وغيرها ....والتي أتاحت استعمال الرياضيات ،وجمع المناهج الرياضية مع برامج بنيت بدقة ومن هنا فصاعدا فإن المنهجية ستصبح جد بسيطة ، لأن الفرضية يتعين إثباتها أو إثبات صحتها عن طريق الاختبار .[THE HYPOTHESIS NUST BE VALIDATED THRONGH TESTING] هذا العمل يتطلب بناء تجربة متينة لصحة الشيء ،أو جمع البيانات التجريبية بطرق أخري . في كلتا الحالتين فإن أي مجهود يقوم به الباحث يجب أن يزيل هيمنة اللامعلوم (أي المجهول) ،ويتأكد من أن الدليل (الشاهد) يخص/ ويتصل /ويلائم الفرضية لا غير. إن نتائج مجهود تجميع البيانات والحقائق قد لوحظت بتأن، أو سجلت وحللت ،التي يتم بعدها طرح ونبذ ،أو تعديل،أو إصلاح أو إثبات الفرضية.النتائج تكون الآن قد نشرت (طبعت)،وأخري دعيت ،لاستخراج نسخ عنها أي لهذه المغامرة الاستكشافية للمعرفة،أو للتثبيت والتأكد أو تجمدأو تتجاهل.

تقربا،هذا هو ما نعينه عادة ب''المنهجية العلمية'' في أي خطوة في طريق هذا البحث يوجد تأكيد علي التدقيق في التفكير واللغة ،وعلي الفرق بين ما افترض وذلك الذي صحح تجريبيا .إن استعمال هذه المنهجية التي تتصف بأنها ''علمية'' خلال 250 سنة الأخيرة أثمرت بعض النتائج أثرت جدا فيما يدعي العلوم الصلبة[THE HARD SCIENCES] علي الأخص في صورة قوانين معممة :في الفيزياء ،الكيمياء ،علم الأحياء وبعض مجالات علم النفس،أين تم التوصل إلي مرحلة التنبؤ بدرجة عالية .لكن ،حتي العلوم الصحيحة [THE EXACT SCIENCES] وبالرغم من منهجياتها الأقوى قد وصلت إلي حدود معينة .ماذا يمكن أن نعلمه في أية لحظة ؟بالاستناد إلي مبادئ [WERNER HEISENBERG] [اللاحتمية] علي سبيل المثال –فإنه لا يمكن تحديد حدوث كل من موقع وحركة أي جسم سواء كان ذرة أم مادة في وقت واحد[47].

المبحث الرابع عشر
النظرية و التنبوئية

لكن السؤال الصعب هو أيمكن أن تكون هناك نظرية للنشاط أو السلوك أو التصرف في العلوم الاجتماعية يمكن مقارنتها بمثل النظرية التي تأسست في مجال العلوم الدقيقة ؟هل يمكن صياغة قوانين عامة للسلوك الإنساني ،سواء كان ذلك تصرف أفراد أم تصرف جماعات ، نظرية ستمدنا بقدرة تنبوئية- علي الأقل –تلك التي يمكن أن تنطلق بمفهوم الاحتمالات ''أشياء أخري تكون متساوية ''؟أنا شخصيا لا استطيع إجابة هذا السؤال بأي شيء من التأكيد .

إلي يومنا هذا ا تزال قدرتنا علي التنبؤ بالتطورات الاجتماعية والسياسية ضعيفة جدا ؛لا التقليديون ولا غيرهم كانت لهم خبرة لا بأس بها في هذا المجال .إلا أنه قد يكون شيئا ممتعا إقامة ملتقى للمتخصصين في العلاقات الدولية لمناقشة هذا الموضوع الجديد بجدية تامة لعل وعسي نصل إلي إجماع لكي نرى إلي ماذا يتوصل اليه علماء العلوم الاجتماعية بصفة عامة –من قدرة علي التنبؤ في فترة زمنية معينة قل 10أو 20أو 30 سنة مثلا .وما يمكن احتماله بالزيادة أو بالنقصان ؟دعنا نفترض أن الملتقين حاولوا النظر إلي الأمام ،قل العقد الأول من هذا القرن ، قد يسألون أنفسهم :ما هي مظاهر أو أجة الواقع خلال السبعينات (1970) التي استطاعوا أن يتنبأوا بها في الأربعينيات (1940)،وما هي مظاهر الواقع الحالي الذي تطور من خلال القوى المتقدمة التي من المحتمل أنهم لم يستطيعوا أن يتنبأوا بها منذ ثلاثين سنة؟ (30)

كما بينا سابقا فإن العلماء قد شككوا في قدرة الباحثين علي الشرح الغير مصحوب بقدرة علي التنبؤ مطابقة ومماثلة .معظم العلماء الاجتماعيين يتفقون في الرأي [CONCUR] مع المؤرخين في حكمهم علي الأحداث والاختيارات الإنسانية بأنها تمتد بعيدة _كل البعد_وراء

التنبوئية.لأننا لا نستطيع أن نحدد بالضبط احتمالية وقوع حدث مثلا :في حالة ما إذا_أن حربا نووية ستندلع أم لا؟ أو في حالة ما إذا أن انقلابا عسكريا سيظهر في دولة ما في حدود فترة زمنية معينة أم لا ؟ لكن عندما نمر من الخاص إلي العام فإن قدرة الانسان علي التنبؤ أو التوقع سوف تتحسن .وبالتالي فإننا نستطيع _عبر الكل العام للجماعات السياسية_أن نؤسس ارتباطات بين الظروف والشروط الضرورية الحقيقية والأحداث ،لتعريف الاتجاهات ،ونقول أن بعض أنواع المشاكل السياسية من المحتمل أن تزيد في حين أن البعض الآخر ينقص .حتي في حساب الاحتمالات عندما نعاني من مشاكل ،ربما يكون في استطاعتنا أن نقول مدي الاحتمالات الممكنة [THE RANGE OF POSSIBLITIES]. لذلك في حين اننا لا نستطيع أن نتنبأ بالقرارت الفردية قد ،نستطيع أن نحصل علي صورة صحيحة للبيئة التي ستتخذ فيها هذه القرارات (لكن حتي هنا لا يمكن التنبؤ بهذه الصورة). وتكون بعض الأشياء سهلة في التنبؤ بها دون أشياء أخري. عادة يكون من السهل التنبؤ بطريقة سلبية أسهل من غيره ،مثل تضييق مدي الممكنات كأن تحذف البعض وتطرحه خارجا .أحيانا ،بعض النزاعات الاقتصادية ،البيولوجية، التكنولوجية والثقافية من الممكن تطابقها وقبولها وإثباتها (أو حتى لعدم تجنبها) لوطن ،إقليم أو العالم ككل .الأمثلة تشمل النمو السكاني ،توسع قطاعات خاصة للتجارة الدولية ،انتشار تقنية وسائل الاعلام عالميا ،زيادة عدد الدول القادرة علي إنتاج الأسلحة النووية .لكن في محيط السياسية الدولية يتعين علينا أن نتذكر أن مجموع النسق مع البيئة كلاهما معقد ،ورقيق ومرهف ،متحول ليس فقط بالقرارات الإنسانية لكن أيضا يخضع لعوامل مختلفة ،التي يصعب إدراك أهميتها أثناء وقت التنبؤ [48].

المبحث الخامس عشر
ما هي مكونات ولغة السياسية الدولية ؟

إن الوحدات التي ندرسها في ميدان العلاقات الدولية ،سواء كانت مجموعة أفراد، جماعات صغيرة ،متوسطة ،كبيرة، طبقات اقتصادية واجتماعية ،مؤسسات ،حكومات ،أمم ،دول،هويات بين حكومية أو ثقافات بطبيعتها تخضع كلها لتغيرات مستديمة متواصلة.هذا الواقع المتبدل يجعل العلوم الاجتماعية أقل استقرارا من العلوم الفيزيائية.إنه علي الرغم من أن نظريات العلوم الدقيقة قد طورت وغربلت نتيجة لاكتشافات معرفية جديدة مستمرة،فإن الظاهرة تحت البحث ظاهر مستقرة،مثبتة ،يمكن استخراج مثيلا تها بصورة متطابقة .للتوضيح فقط، فإن ذرة هيدروجينية في الولايات المتحدة هي من نفس النوع في روسيا أو أكرانيا أو الجزائر،الفرق الوحيد فقط في أن العلماء من الدول المتقدمة في نصف الكرة الشمالي،يملكون أجهزة متنوعة ومتطورة للدراسة والبحث.

وكيفما كان ذلك مميزا، فإن التنظير حول العلاقات بين الدول يمكن مقارنته التنظير حول حاوية صغيرة ، توجد بها عدة ذرات في حركة. ليس هناك ذرتين تشبهان بعضهما البعض كل واحدة متميزة عن الأخرى .توجد في الحاوية بعض الذرات الثقيلة جدا ،والبعض منها متوسطة الحجم والثقل ،والي جانبها عدد كبير من الذرات الصغيرة والمجهرية جدا .المجموع العام لهذه الذرات التي تحويها الحاوية ليس عددا مستقرا .حيث تتحرك من وقت لآخر، بعض الذرات تجاه بعضها البعض كأنها ترغب في تكوين جزيء ،وفي بعض الأحيان تنفصل ذرات صغيرة من أخري كبيرة وثقيلة الوزن(مجموعة الدول المستقلة وروسيا مثلا) .وقد تنقسم ذرة كبيرة إلي عدة ذرات ،وفي بعض الأوقات الأخرى قد تتحول مجموعة ذرات حول ذرة أو ذرتين كبيرتين .إلا أن الذرات من كل هذه الأنواع السابقة قد تتصرف أحيانا تصرفا يحير الملاحظين العلميين الجادين في دراستهم للعلاقات الدولية.كل

هذا التشبيه ما هو الا تشبيه رخو،لكن من الممكن أن يعطينا فكرة ويمدنا بنقطة انطلاق من أجل التفكير ومناقشة سلوك النسق الدولي . وأخيرا ،نأتي إلي مسألة اللغة، حيث نجد أن السؤال الذي يطرح باستمرار، يتمثل في كيف يتعين علينا صياغة النظرية؟ للإجابة عن هذا السؤال نستطيع أن نقول أنه حتى العلوم التي توصف بأنها صحيحة (ودقيقة)لم تسلم من مشاكل ربط اللغة بالملاحظة، أو الرموز اللفظية (الشفهية) بالتجربة. وليس صحيحا أن ندعي أن العلوم الدقيقة تتطلب رموزا كمية[QUANTITATIVE] في حين أن العلوم الاجتماعية تستدعي استعمال رموز كيفية [QUALITATIVE].

جميع العلوم ، سواء كانت فيزيائية أم اجتماعية، تتطلب بعض الأسس التجريبية . والمنهجية لا تكون تجريبية ما لم يستتبع ذلك القيام بالوظائف الأساسية الخاصة بالتسمية والإحصاء أو القياس في جميع العلوم يعد العد شيئا بسيطا . إن الفاصل المهم التي يميز العلوم الدقيقة عن العلوم الاجتماعية ما هو إلا فاصل اللغةالذي يفصلهما عن بعضها ،ألا وهو اللغة الكيفية أو عملية التسمية .لا أحد يدخل في مداولات حول معني المفردات التالية مثل: سائل ،بخار، مغنطيس، صوديوم، لكن عند تحليل مواضيع العلوم الاجتماعية فإننا دائما وأبدا نصطدم بمفردات :ديمقراطي، عدواني، ثوري، غير قانوني ، غير عنصري ،عنف،ارهاب الخ... لا واحد من هذه المصطلحات استثمر واستعمل بطريقة موضوعية علمية،لذلك ،في حين نجد أن العلماء الاجتماعيين باستطاعتهم القيام بالعد والقياس ،وبالتالي يكون في متناول القاريء فهم عملية احصاء العوامل المعتمدة و العوامل الغير معتمدة في التحليلات المتنوعة ،غير أنه يوجد هناك سبب يدعوا إلي الاعتقاد باتفاق أساسي ضمن الدراسيين للعلاقات الدولية فيما يخص الشيء المعدود أو المقاس في حقل دراستهم .غير أن هذا العمل قد وصف من قبل عدد كبير من المختصين في هذا المجال أو الحقل من الدراسة بأنه ضيق جدا ؛ ان لم ينعتوه كذلك بأنه غير ثابت و غير مستقر.

نستخلص إذن، أن الوظيفة الأساسية لنظرية '' دولية '' هي في مساعدتنا علي تحسين معرفتنا للواقع الدولي ،سواء من أجل فهم ذلك الواقع فقط أو بهدف تغييره. لأن النظرية تساعدنا علي تنظيم المعرفة الموجودة ،و اكتشاف معرفة جديدة أكثر فاعلية.ولأن النظرية تمدنا بإطار للتفكير الذي من خلاله يمكن أن يعرفنا بأولويات البحث واختيار أنسب الوسائل التي في حوزتنا لتجميع وتحليل عينات الحقائق والبيانات محل الدراسة. وتقودنا النظرية ،وتلفت انتباهنا الي بعض التشابهات والاختلافات الجوهرية. وتفترض النظرية وجود علاقات لم يكن في مقدورنا تخيلها من قبل في الحقيقة، النظرية عبارة عن دليل وإشارة لنا بأن الإنسان استعمل بعض قواه العقلية(وليس كلها)في شكل يكون في متناول اليد(بدقة وتخيل وعمق).وتدل علي الرغبة في تعميق مجهودات أخري سواء فيما يتعلق بالاتفاق او بالاختلاف.وعلي أية حال، فإنه يوجد هناك[النظرية الدولية] التي تذهب الي مدي أبعد من [نظرية السياسة الخارجية]؛وتحتوي علي مكونات وصفية ، وتأملية ، وتنبوئية ، ومعيارية. أي دارس للعلاقات الدولية يمكنه أن يؤكد علي أحد هذه الأشياء التي سبق ذكرها ، لكن المجال الأكثر تطورا للنظرية الدولية ككل والذي يصبح أكثر احتمالية الفرضية التالية: ماذا يكون؟ماذا يمكن؟ ماذا يحتمل أن يكون؟أي[WHATOUGHT TO BE?]. النظرية الجيدة في العلاقات الدولية يمكن أن تكون استقرائية أواستنتاجية، جزئية أو كلية أي[MACRO OR MICRO]، خاصة جدا، كبيرة أو متوسطة المدى، أي [HIGHLY SPECIFIC,MID-RANGE OR GRAND] (49).

خاتمة كل هذه المداخل التي سبق ذكرها ، تعتبر مداخل صحيحة و يمكن استعمالها بنوع من الذكاء و المنهجية ، ولكن يجب أن نتذكر دائما أن النظرية بطبيعتها تهدف إلي التعميم[GENERALIZATION] . بعبارة أخري النظرية تهدف إلي العام دون الخاص .

هوامش المبحث الثانى عشر

(41) Anatol Rapoport,"VARIOUS MEANINGS OF THEORY" American Political Science Review LII(December,1958),972.

(42)FredN.Kerlinger, Foundations of Behavioral Research (New York: Holt, Rinehart And Winston, 1966), p.11.

(43) Kaplan A, The Conduct of an Inquiry (San Francisco: Chandler Publishing Company, 1964), p.319.

(44) David Singer, "The Behavioral Science Approach To International Relations: Pay off and Prospects SAIS Review (School of Advanced International Studies of Johns Hopkins University) X(Summer,1966),12-20,especially p.14.

(45) Quincy Wright,"Development of a General Theory of International Relations" in Horance V. Harrison, ed., The Role of Theory in International Relations (Princeton:D.V Nostrand Company,1964),p.20.

(46) David Singer, Quantitative International Politics: Insights and Evidence (New York: Free Press, 1968).

(47) Werner Heisenberg, Physics and Philosophy(New York: Harper,1958),pp.179-186.

(48): لتحليل نماذج من المشاكل التي تعترض الإنسان في عملية التنبؤ أنظر

Daniel Bell ,"Twelve Modes of prediction Preliminary Sorting of Approaches in Social Sciences" DAEDALUS XCIII(Sammer,1964),845-880.

(49) لمزيد من الشرح أنظر كذلك:

Charles A, MacClelland, "The Functions of Theory in International Relations" Journal of Conflict Resolution IV(September,1960),303-336.

المبحث السادس عشر
الدراسات الدولية منذ سبعينات القرن الماضي حتى الآن
مراحل تطور العلاقات الدولية

مما جاء في كتاب [CARR] ، ''أزمة السنوات العشرين:1919-1939'' الذي أشرنا إليه سابقا على صفحته الرابعة أنه ''عندما يبدأ العقل البشري يمارس نفسه في مجال جديد ، هذه العملية تظهر وكأنها عبارة عن مرحلة مبادرة، تكون فيها عناصر الرغبة أو الهدف قوية غامرة ،في حين نجد أن الميول [INCLINATION] نحو التحليل ؛ أي تحليل الواقع والوسائل،تكون إما ضعيفة أو غير موجودة أصلا''[50].

مهما كانت صحة، هذا التصريح فيما يتعلق بتطور مجالات علمية أخرى غير العلاقات الدولية فإن هذا الوصف يصدق كذلك على نمو وتطور العلاقات الدولية خاصة خلال مرحلة سنوات تكوينها فيما بين الحربين العالميتين . كما ورد ذلك في مؤلف[K.W.THOMPSON] الذي عنونه : الواقعية السياسية وأزمة_السياسية العالمية . على الرغم من أن دراسة العلاقات الدولية كانت دائما تحتوي، على عناصر معيارية ،ودراسةأسباب الخلافات وحلها ،كمواضيع كانت تلفت الانتباه المستمر لطلبة العلاقات الدولية ،فإن تركيز الدراسة والبحث فيها قد تحول أي جري مجرى آخر خاصة منذ الحرب العالمية الثانية حتي نهاية القرن العشرين.

لذلك كله، إن دراسة العلاقات الدولية قد مرت بثلاث مراحل يمكن تمييزها كالآتي:

المرحلة الأولي:هي المرحلة الطوباوية(أو معيارية).

المرحلة الثانية: هي المرحلة الواقعية(أو معيارية تجريبية).

المرحة الثالثة: هي المرحلة السلوكية(أو سلوكية كمية).

وهناك، أمثلة لكل مرحلة من هذه المراحل يمكن الوقوف عندها من خلال تفحصنا لكل مرحلة من مراحل تطور العلاقات الدولية.لفحص النزعات الحالية في علم السياسة، إننا نستطيع أن نؤكد علي ما جاء

obeikandi.com

بـه[DAVID EASTON]في إحـدى مقالاتـه ''الثـورة الجديـدة في علـم السياسـة'' الـتي نشـرت في مجلـة علـم السياسـة الأمريكيـة في ديسـمبر1969 ،لأن دراسـة العلاقـات الدوليـة كانـت آنـذاك تـرتبط ارتباطـا شديدا بعلم السياسية، ويمكن ملاحظة تأثير هذا المجال خاصة فيما يتعلق بالمنهجية والمفاهيم المستعملة ،أضف إلي ذلك النزعات الرئيسية التي كانت مهيمنة علي التفكير والفكر ،التي طبع تأثيرها تطور العلاقات الدولـية[51]. ومع بداية السبعينات(1970) بدت العلاقات الدولية ،وكأنها تعتب مرحلة جديدة رابعة أو مرحلة[ما بعد السلوكية]

[THE POST-BEHAVIOURAL PHASE]في هذه المرحلة بالذات سوف تتركز مجهودات المتخصصين في علم السياسة والعلاقات الدولية على تركيب و بناء المفاهيم والنتائج واستنباطها من الآداب والمعارف الموجودة أي المنجزة فعلا ،والعمل على تطوير نظريات ومناهج تتعلق بالمسائل الدولية الآنية التي كانت تواجه الإنسان آنذاك . في نفس الوقت ،كان يسود في أوساط الدارسين والمدرسين علي حد سواء التأكيد أولا على النظريات المصحوبة بالشرح المسهب أو الواسع ،و ثانيا على القدرة التنبوئية .

بعبارة أخرى، المرحلة الآتية يمكن أن تتميز بالبحث عن مفاهيم ومباحث من العلوم الأخرى كعلوم مساعدة والعمل على إنجاز دراسات مقارنة في عدة مستويات ووحدات تحليل نافعة ومفيدة، هذا بالإضافة إلى خلق وبناء جسر يربط بين النظريات المعيارية و السلوكية –الكمية وبين النظرية السياسية .

المبحث السابع عشر
النقد السلوكي

إذا كانت الواقعية السياسية، في نهاية الأربعينات من القرن 20 قد احتلت مكان الصدارة ،وأخذت مكان الطوباوية أو المعيارية إلى حد بعيد ،فإن خط الاتجاه في العلاقات الدولية وتبعا لذلك حقل دراستها قد مر هو الأخر، أو بالأحرى تحول من مرحلة العلاقات الدولية الأولى ،إلى المرحلة الثانية من تطورها.وأصبح الجيل الناشئ من العلماء ،غير مقتنع بالطرق المستخدمة أو المستعملة في التحليل.خلال عقدين أو ثلاثة فإن معظم أدبيات العلاقات الدولية قد عكست نوعا من عدم الاقتناع بمجال الدراسة ،ومشتملاته من أدبيات و مناقشات أكاديمية . و لذلك ففي المرحلة السلوكية- الكمية من تطور العلاقات الدولية يمكننا أن نميز الأفكار النقدية السائدة فيما يلي:

1- أن المداخل المبكرة للعلاقات الدولية كانت قدرتها محدودة جدا في مساعدة الباحث في تعريف وتحليل مشاكل هامة.

2- لأن النظرية التقليدية قد أسست بالاستناد إلى نسق دولي يختلف كلية عن النسق الدولي الحالي.

3- كذلك،كانت قوة وإمكانات النظريات في الشرح والتنبوء محدودة.

4- الأدبيات المتوفرة كانت متخمة و مفعمة[REPLETE] بفرضيات غير مختبرة،وضمنية حول السلوك و التصرف الإنساني وسير العلاقات الدولية.

5- كانت معظم المفاهيم الشائعة الاستعمال مثل ميزان القوة،والأمن الجماعي،تستعمل استعمالا متنافرا من قبل العلماء الدوليين وحتى من طرف كل واحد منهم على حدة.

6- لما كانت مجهودات الباحثين غير مؤسسة على اطار قوي وعام للتحليل فإنها لم تساهم بفعالية كأدبيات مجمّعة لشتات موضوع العلاقات الدولية.لأن العلماء أنفسهم لم يعبّرون ويفصحوا عن أنفسهم بنفس الفرضيات [52].

7- إن وجود المنهجيات – الكمية ،والهياكل أو الإطارات المفاهمية التي استعيرت (أو تم استعارتها) من علوم أخري وتقبلها العلماء من أجل أن تمد الدارسين بالوسائل- للاختراقات العظيمة من أجل بناء نظرية للعلاقات الدولية ،في وقت يتميز بتقدم العقل الإلكتروني والتكنولوجيا العالية للتخزين والاستيراد والتحليل والمقارنة ،كوسائل تقوي وتدعم عملية اختبار النظرية، وإتاحة الفرصة لمشاركة العلماء الدوليين في بناء نظرية للعلاقات الدولية .والجدير بالذكر أن سير البحث بعد ذلك قد هيمن عليه العلماء الناشئين الذين لم يعيروا أي اهتمام وانتباه للعقلية والأفكار المبكرة القديمة،وبذلك فإننا نلاحظ وجود هوة جيلية قد ظهرت فجأة في العلاقات الدولية .علي الرغم من الفرضيات أو الادعاءات الخاصة ببعض الكتاب التقليديين التي وصفت صراحة في أحيان كثيرة،بأنها عقلية قديمة للعلاقات الدولية، وتواصلت هذه العقلية ببعض الفرضيات ،إلا أن علماء العلاقات الدولية خلال الجيلين الماضيين قد تساءلوا عن/وحول هذه الافتراضات ورأوا وضعها قيد الدراسة والمناقشة النظامية:-

ا- لقد افترضت أن الأمم لها السيادة علي مسائلها الداخلية وبالتالي فإن القوي الأجنبية لا تستطيع أن تمارس أي هيمنة عليها.إذا كان هذا النموذج هو الذي كان سائدا فإنه يعود الي النظام الدولي قبل القرن العشرين فإن الافتراضات لا تصلح له و للنظام الدولي الحالي .لأنه توجد في الواقع بعض الأدبيات ، يحاول من خلالها أصحابها مناقشة [الارتباط] بين النظم الوطنية والنظام الدولي.وحاولوا مناقشة ما يسمي بالنظم السياسية المتخللة[PENETRATED]التي تؤثر علي سياستها الداخلية التطورات الطارئة وراء حدودها الوطنية[53].

ب- يفترض في وحدات القرار[DECISION-MAKINGUNITS] بأنها لم تكن عرضة لمعوقات وخلافات داخلية معتبرة فيما يتعلق بالأهداف ، والسياسات،وطبيعة المصلحة الوطنية. خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ،فإن

أدبيات السياسة الخارجية قد منحت مكانة مرموقة للعوامل الداخلية التي كانت ترتطم بالعلاقات الدولية.

ج- الفرضية التقليدية تقول بأن الدولة- الأمة وحدها هي الفاعلة في السياسة الدولية. لكن بروز المنظمات الدولية على المستوى العالمي و الجهوي، والأهمية المتزايدة التي افتكتها الشركات المتعددة الجنسيات من الدول ،وامتداد و توسع النشاطات عبر الحدود الوطنية ،كل ذلك أعطي أبعادا جديدة للعلاقات الدولية لم تكن موجودة من قبل ،ومن ثم انعكس هذا التغير والتبدل والتحول على أدبيات حقل الدراسة.

د- قد افترض فيما قبل أن السلوك السياسي على النطاق الدولي يختلف كلية عن السلوك السياسي ضمن نطاق الوحدة الوطنية [THENATIONALUNIT].لذلك كله، كان هذا الاختلاف بمثابة مبرر للفصل الأكاديمي بين دراسات السلوك السياسي الدولي و تحليل السلوك السياسي ضمن أو داخل الوحدة الوطنية . هذا التفريق بين السلوك الداخلي و السلوك الدولي ينبع أساسا من النموذج الذي يقول بتمركز اتخاذ القرار الحكومي داخل الوحدات الوطنية لأنها تحتكر وتتمسك باحتكار القدرات القسرية، على عكس لا مركزية اتخاذ القرار وغياب القدرات القسرية ضمن النظام الدولي.تدريجيا ،فإن العلماء الذين تناولوا هذه الأشياء بالدرس و التحليل قد أكدوا على التشابهات أكثر من الاختلافات بين العملية السياسية THE POLITICAL PROCESS على المستويين الوطني و الدولي. وأهتم بعض العلماء بدراسة الأنظمة السياسية للمناطق الأقل تطورا حيث وجدوا القبلية و العشائرية تتنافس مع قوى التطورِ؛فالسلطة الفعّالة مازالت سلطة لا مركزية.مما لفت انتباه الباحثين وحثهم على البحث والتقصي في أحوال الأمم القديمة ،و في النسق السياسي الدولي، وفي التطورات السياسية الدولية.

باختصار فإن الكثير من نقد النظرية الدولية ، قد تأسس علي كل من مناقشة صحة ووثاقة الصلة بالموضوع للفرضيات القديمة، والتقنيات، والمنهجية .لاحظ إن عدم الاقتناع هذا قد قاد هو الآخر إلي تسرب بل واستيراد بعض الأدبيات والمفاهيم من العلوم الأخرى خصيصا لعلاج النقص في دراسة العلاقات الدولية.

obeikandl.com

المبحث الثامن عشر
طبيعة البحث السلوكي ـ الكمي

يمكن تلخيص التوجهات والنزعات الأساسية التي ميزت العلاقات الدولية في مرحلتها السلوكية –الكمية كما يلي :

1- تبني نظريات ،افتراضات، إطارات مفاهيمية ،منهجيات وأفكار من علوم أخرى خاصة علم الاجتماع ،وعلم النفس الاجتماعي ،علوم التسيير والإدارة ،علم النفس ،الانثروبولوجيا، والعلوم الاقتصادية ،والرياضيات .

2- محاولة ربط الظاهرة من العلوم والتخصصات الأخرى بالظاهرة علي المستوي الدولي .التي يمكن أن تكون شكلا من الأشكال المتبادلة لفحص ومناقشة الظاهرة الدولية، وذلك بواسطة استعمال الإطارات المفاهيمية، والنظريات والفرضيات التي فحصت بواسطتها ظواهر مشابهة ضمن تخصصات أخري. وأيضا، بواسطة التحليل المقارن لمثل هذه الظواهر :- كالخلاف، الصراع، النزاع، الاندماج،المساومة،المفاوضة ،والرعب والارهاب _التي تظهر علي المستوي الدولي، ومجالات أخرى .

3- التركيز علي مشاكل وحدات التحليل بما يشتمله هذا التركيز علي محاولات التفريق مفاهيميا ومنهجيا بين الوحدات، مثل الفرد الذي يتخذ القرار،وحدة القرار،الدولة،التنظيمات الفرعية الدولية ،والنسق الدولي نفسه.

4- الاهتمام بمشاكل مستوى التحليل ،بما يتضمنه من محاولة رسم تفريق واضح جدا بين النظرية الكلية[MACRO-THEORY] أو النظرية الكبيرة[GRAND-THEORY] وما أطلق عليه التنظير المتوسط المدي[MIDDLE- RANGEOF THEORIZING] ونزوع بعض العلماء صراحة للتركيز علي واحد أو أكثر من المستويات التنظيرية.

5- المجهود الأكبر أصبح بعد ذلك يركز علي المقارنة ضمن دراسة العلاقات الدولية،التي أخذت في الأساس بعدين هامين هما :

(أ) مقارنة تحليلية أكثر للظاهرة في الإطار الحالي.

(ب) محاولات نظامية لمقارنة عدة مظاهر للعلاقات الدولية في إطار تاريخي، ورسم مقارنة بين الظواهر الحالية والتاريخية.

(ت) التركيز علي مشاكل جمع البيانات [DATA] ،ومحاولة استغلال البيانات الموجودة ببراعة لتطوير مراجع جديدة ،ومحاولة انجاز أرشيف أو بنوك للبيانات أو المعطيات مزودة بتخزين واستيراد وسائل التكوين التي يمكن وضعها في متناول أيدي الباحثين .

(د) محاولات الزيادة في مدي المنهجيات ،مع وجود نقص في إجماع المهتمين بالبحث ،فيما يتعلق بالمنهجيات الأكثر ملاءمة لدراسات ظواهر العلاقات الدولية

(ه) استيعاب المجهودات لربط البحث لبناء نظرية، وما يتضمنه ذلك ، من معايير تتعلق بالبحث ،وتحديد المشاكل والتحقيق فيها ، و جعلها في متناول الباحثين لينسخوا عنها ،وذلك في إطار البحث لتطوير المعرفة وتراكمها في نطاق صرح المعرفة الموجود .

إن مشاكل: هدف الدراسة ،والمنهجية ،وطبيعة النظرية، والتخصصات الوثيقة الصلة بالموضوع،لدراسة العلاقات الدولية بأية حال حلت . إن نقد النزعات التي سبق وأن اشرنا إليها شككت في مدي تناول الأحداث أو الظاهرة السياسية كظواهر متماثلة. وشككت في مدي قدرة واستطاعة الباحثين علي وضع فرضيات عملياتية في ميدان العلاقات الدولية . تبقي الشكوكية [SKIPTICISM] التي تقول أن المعرفة في هذا الحقل من الدراسة غير محققة أو مؤكدة –ذلك أنه هل يمكن جعل المسائل الأكثر أهمية في العلاقات الدولية عملية؟ومن ثم يمكن تطوير مؤشرات ذات طبيعة كمية؟

من جانبنا نرى أن الحزم سواء التقليدي أو السلوكي [TRADITIONAL OR BEHAViOURAL] فعل وعمل القليل من

openkandil.com

أجـل دفـع وتعزيـز تطـور حقـل العلاقـات الدوليـة .مثـل هـذا الحـزم [DOGMATISM] ومحـاولات التركيـز علـي مسـائل كالمنهجيـة، وهـدف دراسـة العلاقـات الدوليـة، ينبـئ عـن عـدم يقـين طـلاب العلاقـات الدوليـة فيمـا يتعلق بتقنيات ونقاط التركيز الملائمة للتحليل.

المسألة ليست في هذه المنهجية أو تلك ،ولا في هذا الشكل من التنظير أو الآخر، أو هذه النقطة الأساسية في التحليل أو تلك التي تكون ذات علاقة أو صلة بالموضوع. بعيدا عن كون هذه الأمور مبعدة لبعضها البعض، فإن المنهجيات ومجالات البحث المحببة ،يمكن أن تصبح في يوم ما مقوية لبعضها البعض،ومن ثم المساهمة في تقدم وتطوير المعرفة. السؤال الذي يمكن أن يوصف بأنه كان أقل أهمية ،كان يدور حول ملاءمتها ،ثم المدي الذي تستطيع فيه المنهجية ،أو المدخل انجاز واجب البحث الخاص ،الذي وضع من طرف الباحث .والتساؤل حول هذه الأشياء ،بطبيعة الحال ،عبارة عن حاجة لمعيار لتأسيس [أجندة] البحث وتوجيهه وإدارته.بإعطاء المفاهيم المختلفة لطبيعة النظرية والبحث والمنهجية التي يرغب فيها طلاب العلاقات الدولية.، غير أن نتائج محاولات الوصول إلي اتفاق فيما يخص هذا المعيار المأمول لم تكن كبيرة.

المبحث التاسع عشر
ما هي أهم نقاط التركيز في البحث الحديث أو المعاصر؟

عدة نقاط كبري تستحق التركيز دار حولها البحث خلال الجيل السابق ،كانت تدل علي اهتمامات العلماء في مرحلة السلوكية –الكمية للعلاقات الدولية، هي: نظرية النسق العامة.نظرية الخلاف أو الصراع ،عملية اتخاذ القرار ،ونظرية اللعبة الدولية،هذه الموضوعات يمكن اعتبارها استعارات واستخدامات توضيحية،وفدت الي حقل التخصص من فروع علمية أخري،علي سبيل المثال ، فإن نظرية النسق العامة كان لها تأثير لايستهان به علي مجهودات التنظير علي المستوى الكلى،و على مستوي النظريات المتوسطة المدى لاتخاذ القرار،والصراع والتكامل أو الاندماج .إلا أن الكتاب الذين انصب اهتمامهم علي الصراع والتكامل أو الاندماج، كانت ميولهم واضحة نحو التركيز على الدراسات المقارنة و عمليات التكميم(Quantification) ،والرفع من وتيرة زيادة الاهتمام بمقارنة الظواهر في النطاق الدولي ،مع افتراض أن هناك ظواهر مشابهة في مجالات أخرى. غير أن الكتابات في هذه المجالات المذكورة ،ومحاولات استخدام نظرية النسق، كانت تشير الي نوع من نمو الاهتمام بتوسيع كل من قاعدة المعطيات أو المعلومات أو البيانات[THE DATA BASE] والتركيز علي الأشياء ذات الصلة بالموضوع،وليس أخذها فقط كمواد مواد للمقارنة . ان الدراسات التى استخدمت نظرية النسق العامة واتخاذ القرار خاصة،كانت تعكس مدى التعلق بتنمية وتطوير تعريف للعلاقات الدولية علي نحو بيّن وأكثر وضوحا أو تعكس مدى التعلق كذلك بتحديد وحدات ومستويات التحليل التي يتعين علي الباحث أن يأخذها بعين الاعتبار [54].

ومما يلاحظه القارئ المبتدئ في والعلاقات الدولية ، أنها كانت تضم عدة مجهودات للتنظير في كل من علم السياسة ،والعلاقات الدولية، قام بها وقدمها أناس من الجيل الماضي ،مان من نتيجتها بناء [نظرية كلية] بل

نظريات كلية [MACROTHEORIES] أو نظريات كبيرة، التي يمكن أن تحلل فيها الأصناف الكبرى للمتغيرات في علم السياسة نجد أن صيغ كل من [ALMOND] و[EASTON] ما زالت تمدنا بخطة تتضمن الأصناف الكبرى للمتغيرات . تمثل النظرية الواقعية ونظرية النسق العامة في العلاقات الدولية أقصي حد يمكن التوصل اليه كمحاولة لبناء نظرية كلية .

كذلك، نجد أن لفظة نظرية نفسها قد استعملت بطرق عديدة في مجال العلاقات الدولية. وهناك ،خلافات بينة بين العلماء في هذا المجال حول طبيعة النظرية، كما سلفت الإشارة، خاصة في الاستعمالات المتعددة لتعبير نظرية.الواقعية ما هي إلا مجهود من مجهودات التنظير الكبير، لأن روادها الأوائل رأوا عزل واحد أو قليل من المتغيرات التي يمكن أن تكون لها القدرة علي الشرح والتنبؤ بالمدى الواسع للسلوك الدولي .بالإضافة إلي تركيز الواقعية علي القوة وأخذها لهذا العامل بعين الاعتبار علي أنه متغير خطير،فإنها قد زودتنا بإطارات للتحليل في ميدان السياسات الدولية والسياسة الخارجية علي مستوى النسق الدولي . واستعمل الكتاب الواقعيين إطارا يتركز أو يتكيء علي ميزان القوة ، الذي يشبه إلي حد ما نموذج ميزان القوة الذى طور من قبل [MORTONA. KAPLAN]. وعلي المستوي الوطني للتحليل ،ربطت النظرية الواقعية نفسها بعناصر (أو عوامل) القوة الوطنية، ومن أجل المقارنة طوروا مخططا للتصنيف لتحليل قدرات الأمم . وكان مناصري الواقعية يعون كل الوعي أن [DAVID SINGER] قد تقدم بمسألة ''مستوي التحليل'' في العلاقات الدولية.الذي تطرق إليه [SINGER]علي أنه :مشكل مستوي التحليل الذي كانت تعاني منه العلاقات الدولية . ومن ثم إهتم الواقعيون ونصرائهم بالتحليل علي مستوي كل من النشاط المتبادل بين الدول ،وسلوك كل دولة منها علي حدة،وسياستها الخارجية [55].

أما أولئك الدارسون الأكثر حداثة، والذين استعملوا نظرية النسق

العامة، فإنهم لم يذهبوا فقط، إلي تطوير أو رسم خطة أو خطوط عامة ، لمستويات التحليل، لكنهم ذهبوا الي أبعد حد كمحاولة منهم ،للدفع إلي الأمام، بإطار واسع يحتوي معظم إن لم نقل كل السلوك علي المستوى الدولي . إذا ،فالواقعية حملت مواد ورؤوس مواضيع من التاريخ ،وكذلك من مجالات أخري ،بما فيها الجغرافيا ،الدراسات الاستراتيجية ،وعلوم الاقتصاد ،وعلم السياسة ،والنظرية العامة للنسق(للنظم)،باعتبارها أشياء يمكن أن تمد الباحثين باطار لاستعمال المعطيات أو المعلومات ،والمفاهيم والفرضيات ،من عدة تخصصات . لكن من ضمن المميزات التي تميز النظرية الواقعية عن النظرية العامة النسق(للنظم)، فإن الأولي تختلف عن الثانية،فيما كانت تسعي اليه من أجل الحصول علي قدرة كبيرة علي الشرح و علي التنبؤ. وذلك باستعمال القوة كمتغير، في حين أن النظرية العامة النسق (للنظم)،كانت ترغب في تزويد الباحثين بإطار لتحليل العلاقات بين عدد كبير (أو قليل) من المتغيرات، هذا الي جانب ما كانت تسعي إليه من تطوير لبناءات وترتيبات من أجل بلوغ هدف الشرح والتنبؤ في العلاقات الدولية .

خاتمة

وتجدر الإشارة في خاتمة هذا الفصل، إلي وجود عدة مجهودات أخري كانت تمثل ''جزرا ''لنظرية يمكن (أو لا يمكن) ربطها يوما (ما) بنظرية كبري للعلاقات الدولية. إلا أن السؤال الذي يتعين علينا طرحه هو:كم من الارتباط الذي يمكن أن يأخذ مكانه أومجراه؟وما مدي توسعه بالجزر الموجودة فعلا ؟أو باكتشاف جزر جديدة للنظرية؟ أو بواسطة اختراق كبير لنظرية كلية التي ستترابط بداخلها النظريات المتوسطة المدى؟ هذا هو موضوع المداولات والمناقشات التي أعيت ما برؤوس علماء العلاقات الدولية،والعلماء الاجتماعيين علي حد سواء .إنها مسألة بقيت بدون حل حتى دخول دراسة العلاقات الدولية مرحلتها الرابعة [56] .

هوامش المبحث السادس عشر

(50) Edward H.Carr, The Twenty Years' Crisis, 1919-1939: An Introduction To The Study of International Relations (London: Macmillan Company, 1939 and New York: Harper and Row, 1964), p.4.

(51) أنظر كذلك كتابه

David Easton, The Political System (New York: Alfred A.Knopf, 1959).

(52) بالنسبة لهذه النقطة بالذات أنظر خاصة:

I.L.Claude ,Jr.,Power and International Relations(New York:Random House,1962),pp.11-39.

(53) أنظر علي سبيل المثال: James N. Rosenau,ed., LINKAGE POLITICS (New York:Free Press,1969).

(54)JamesE.Dougherty/RobertL.Pfaltzgraff,Jr., Contending Theories of International Relations(NewYork: J.B.Lippincott, 1971),pp.398-379.

(55), Ibid.

(56), Ibid.

obeikandl.com